بناء الوعي

إعداد
أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

القاهرة
١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م


وزارة الأوقاف المصرية
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

(هود: ٨٨)


وزارة الأوقاف المصرية
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقــدمة

الحمد رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

وبعــد :

فتشكيل وعي أمة أو بناء ذاكرتها ليس أمرًا سهلا ولا يسيرًا ، ولا يتم بين لحظة وأخرى أو بين عشية وضحاها ، إنما هو عملية شاقة ومركبة ، وأصعب منه إعادة بناء هذه الذاكرة أو ردها إلى ما عسى أن تكون قد فقدته من مرتكزاتها ، فما بالكم لو كانت هذه الذاكرة قد تعرضت للتشويه أو محاولات الطمس أو المحو أو الاختطاف ، ولا سيما لو كان ذلك قد استمر لعقود أو لقرون ؟!

لقد تعرضت ذاكرة الأمة عبر تاريخها الطويل لمحاولات عديدة من المحو أو الشطب أو التغيير ، ناهيك عن

محاولات الاختطاف وحالات الخمول والجمود ، وأصبحنا في حاجة ماسة إلى استرداد هذه الذاكرة من خلال إعادة تنشيطها وتخليصها مما علق بها من شوائب في مراحل الاختطاف والتشويه جراء محاولات المحو أو الشطب أو التغييب ، التي قام بها أعداء الأمة ومن وظفوه لخدمتهم من جماعات التطرف والإرهاب .

وإذا كان من حاولوا السطو على ذاكرة أمتنا قد استخدموا المغالطات الدينية والفكرية والثقافية والتاريخية للاستيلاء على هذه الذاكرة فإن واجبنا مسابقة الزمن لكشف هذه المغالطات وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، وبيان أوجه الحق والصواب بالحجة والبرهان من خلال نشر الفكر الوسطي المستنير ، في المجال الدعوي والثقافي والتعليمي والتربوي والإعلامي ، وإحلال مناهج الفهم والتفكير والإبداع والابتكار محل مناهج الحفظ والتلقين والتقليد ، مع اعتبار العمل على خلق حالة من الوعي المستنير

واسترداد ذاكرة الأمة التي كانت مختطفة أولوية لدى العلماء والمفكرين والمثقفين وقادة الرأي والفكر .

على أن بناء الوعي يتطلب الإلمام بحجم التحديات التي تواجهنا لأننا دون إدراك هذه التحديات ودون الوعي بها لا يمكن أن نضع حلولاً ناجحة أو ناجعة لها ، وإذا كان المناطقة يؤكدون أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، فإن معالجته أو مواجهة ما يرتبط به من تحديات لا يمكن أن تتم دون سبر أغوار وأعماق هذا التصور .

وإسهامًا منا في ذلك يأتي هذا الكتاب "بناء الوعي" ملقيًا الضوء على عدد من الموضوعات الهادفة إلى خلق حالة من الوعي بالواقع ، والوعي بالتحديات ، ومحاولة الإسهام في حلها أو فك شفرتها ، أملا في الخروج من حالة التشظي والتأزم الفكري إلى حالة من الرشاد الفكري والديناميكية الفكرية التي تعمل على بناء الذاكرة وبناء الأمة معًا .

وقد تناولت في هذا الكتاب عددًا من الموضوعات والقضايا الحيوية : دينية ، ووطنية ، وثقافية ، ومجتمعية ، مثل: إرادة التغيير ، والوعي بالقضية السكانية ، والوعي المائي ، والوعي بخطورة المخدرات والإدمان ، والوعي بمخاطر الإلحاد ، وأهمية العمق الأفريقي ، وفقه المواطنة ، وبناء الدول ، وحماية الأوطان ، وحروب الجيل الخامس ، وتفكيك حواضن الإرهاب ، وخطورة الشائعات ، والصورة الذهنية للأفراد والمجتمعات ، والميثاق الغليظ ، وفقه الحياة السياسية، وغيرها من الموضوعات .

كما يهدف إلى الإسهام في تشكيل وعي الأمة واسترداد ذاكرتها الرشيدة من خلال إعادة تنشيطها وتخليصها مما علق بها من شوائب في مراحل الاختطاف والتشويه جراء محاولات المحو أو الشطب أو التغييب ، التي قام بها أعداء الأمة ومن وظفوه لخدمتهم من جماعات التطرف والإرهاب.

وإنني لأؤمل أن يسهم هذا الكتاب – مع غيره من

المحاولات الجادة لكل المهمومين بهم الأمة من السياسيين والكتاب والمفكرين والمثقفين والإعلاميين والمعلمين والتربويين الوطنيين – في إعادة بناء الذاكرة الواعية لمجتمعنا وأمتنا .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف



إرادة التـغيير

يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[1]، والتغيير ليس بالأمر الهين ولا اليسير ، التغيير إرادة ، التغيير عزيمة، التغيير ثقافة ، التغيير أمر لا غنى عنه للأمم التي تسعى إلى تحقيق التقدم والرقي ، إذ لا يمكن لأحد أن يحدث نهضة أو نقلة بنفس الأدوات التي أدت إلى التخلف أو التدهور أو الجمود أو الفساد أو الإفساد .

ويجب أن تصبح إرادة التغيير ثقافة مجتمع في جميع مجالاته : في الفكر ، في التربية ، في العمل ، في الإدارة ، في شتى مناحي حياتنا ومكوناتها ومقوماتها ، يجب أن نغير سلوكنا ، فيصبح الأصل العمل لا الكسل ، والإتقان لا غيره ، والشفافية لا الفساد ، وتقديم الكفاءة لا الولاء ، والعطاء قبل

---

(١) الرعد : ١١.

الأخذ ، وربط الحافز ربطًا حقيقيًّا بالإنتاج ، والعمل بروح الفريق لا بأنانية الفرد ، والانفتاح العقلي لا الجمود ولا الانغلاق ، وأن نتحلى بالإيثار لا الأثرة ، مع العمل لصالح الوطن ، وإدراك أن الوطن بجهود جميع أبنائه ، وأن أحدًا لا ينجح وحده ، ولا يمكن أن ينجح وحده .

يجب أن تصبح إرادة التغيير ثقافة وطن ، وأن ندرك أننا قادرون ، وأننا نستطيع ، وألا نستضعف أنفسنا ، أو نستهين بقدراتنا وإمكاناتنا ، فنحن بنو شعب عريق الحضارة ، متجذر بها في أعماق التاريخ لأكثر من سبعة آلاف عام ، لم تتوقف يومًا ولم تنقطع ، فقد وضع فيها كل جيل لبنة من لبناتها حتى صارت بنيانًا فريدًا ، مكتملًا ، مدهشًا للدنيا وللعالم بأسره ، لا ينكر أثرها على الإنسانية ولا عظمتها إلا جاحد أو ناقم أو مكابر ، على أنها سرعان ما تَرُدُّ على الجاحدين جحودهم ونكرانهم ومكابرتهم ، بإنصاف المنصفين ، وبما تشعه على مر الأيام من نور ، وما يتتابع اكتشافه من كنوز

تكاد تكون لا متناهية ، يجب ألا نعبأ بمن يهونون من قدراتنا أو يحاولون أن يَفتُّوا في عضدنا ، أو ينالوا من عزيمتنا، أو يلقوا شباك اليأس والإحباط حولنا ، فنحن أمة لا تعرف لليأس ولا للإحباط طريقًا ، ولا سيما أن علماءنا العظام يعدون اليأس والتأييس والإحباط والتحبيط من الكبائر ، مستشهدين بحديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رجلًا قال : يا رسول الله ما الكبائر؟ قال (صلى الله عليه وسلم) : (الإِشْرَاكُ بالله ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَالأَمْنُ لِمَكْرِ اللَّهِ)[1].

إرادة التغيير تتطلب أن نثق في أنفسنا وفي أننا قادرون على أن نحدث تغييرًا ، أن نحدث فارقًا ، أن نحقق رقمًا عالميًّا يحسب له حسابه في شتى المجالات ، أن نعتمد على ذاتنا ، على قدراتنا ، على مواردنا ، على إمكاناتنا ، أن نرشد استهلاكنا ، ونعظم إنتاجنا ، ونعمد إلى إضافة لبنة جديدة ،

(١) المعجم الكبير ٩ / ١٥٦ ، حديث رقم : ٨٧٨٤.

بل لبنات عظيمة إلى بنائنا الحضاري ، تحمل بصمتنا ، وتشهد بأننا كنا هنا يومًا ما ، وأننا كنا جديرين أن نحفر أسماءنا في ذاكرة التاريخ الإنساني وسجل حضارتنا المصرية العريقة .

التغيير يتطلب أن نعيد اكتشاف أنفسنا من جديد بإمكاناتها الحقيقية وجيناتها الحضارية ، وأن ننزع عنها أو منها أي فيروسات طارئة أو دخيلة للكسل أو الإحباط أو الإحساس بالعجز ، فلسنا عاجزين ولم نكن يومًا كذلك ، ولن نكون إن شاء الله ، علينا أن نتمسك بالأمل ، وأن نتشبث به، وأن نعمل لتحقيقه ، فالأمل بلا عمل أمل أعرج لا يقوم على ساقين ، وقد قال الحسن البصري (رحمه الله) : (إن قومًا غرَّهم حسن الظن بالله حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، يقولون : نحسن الظن بالله ، كذبوا والله ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل) ، فنيل المطالب ليس بالأماني ، ولا بالتمني ، ولكن تؤخذ الدنيا غلابًا واقتحامًا .



الصورة الذهنية للأفراد والمجتمعات

الصورة الذهنية لأي شخص أو مجتمع تنعكس سلبًا أو إيجابًا على قبوله أو رفضه ، على التعامل معه أو ضده.

الصورة الذهنية منها ما هو عارض خاطف ، ومنها ما هو مترسخ ومتجذر في الذاكرة ، غير أن بناء الصورة الذهنية لشخص أو شعب يحتاج إلى مساحات أوسع من الزمن وجهد ملموس على الأرض .

الصورة الذهنية الخاطفة أو العارضة قد تكون محدودة التأثير ، غير أن تراكم هذه الصور يؤدي بلا شك إلى بناء صورة ذهنية راسخة متجذرة ، تكون ذات أثر بالغ في الحكم على الأفراد أو الشعوب .

الصورة الذهنية الخاطفة تكون وليدة موقف أو لحظة كحسن مقابلة السائح ، أو إنهاء إجراءات استقباله بسهولة ويسر في جميع خطوات التعامل معه بدءًا من الحصول على

إذن الدخول ، إلى إنهاء إجراءات استقباله بالمطارات والموانئ ، فالفنادق ، فالمتاحف، فسائر التعاملات .

وقد تتكون الصورة الذهنية لدى السائح بنظرته إلى مستوى النظافة والنظام واللمسات الجمالية والطراز المعماري لدى الشعب المضيف .

وقد تتكون الصورة الذهنية عن الدول والشعوب من خلال السلع التي تنتجها تلك الدول والشعوب ومستوى جودتها ومهارة صانعيها وحرفييها ، وأطبائها ، ومهندسيها ، ومعلميها ، وعلمائها ، وأدبائها ، ومفكريها .

وأرى أن الجانب السلوكي من أهم الجوانب المؤثرة في بناء الصور الذهنية ، وقد قالوا : حال رجل في ألف رجل خير من كلام ألف رجل لرجل ، فالناس لا يصدقون الكاذب ، وإن خطب فيهم ألف خطبة وخطبة عن الصدق ، ولا يأتمنون الخائن أو الغادر وإن أعطاهم ألف عهد وميثاق، وحدثهم ألف حديث وحديث عن الأمانة والوفاء ، لذا

يجب أن يكون لنا وجه واحد ظاهره كباطنه ، وليس لنا وجهان أحدهما ظاهر والآخر خفي ، إذ يمكن للإنسان أن يخدع بعض الناس لبعض الوقت ، لكن لا يمكن لأي إنسان مهما كان ذكاؤه ومهما كانت حصافته وحيطته ودهاؤه أن يخدع كل الناس كل الوقت .

ولا شك أن المستوى الثقافي والمعرفي لأي شخص إنما ينعكس على الصورة الذهنية عنه ، فكلما كان الإنسان منطقيًا في خطابه كان أكثر إقناعًا ، أما إذا كان ظاهرة صوتية يعتمد على الجعجعة وارتفاع الصوت دون سند من العقل والفكر والمنطق، فإنه لا يمكن أن يقنع أحدًا، وإن توهم أنه ربح جولة أو جولات بعلو الصوت ، أو تجاوز حدود اللياقة في الحوار كوسيلة لإسكات المخالف ، إذ يظل مجرد ظاهرة صوتية لا أثر لها ، وإن كان من أثر، فهو أثر سلبي يصم الآذان عنه لما يلحقها من أذى صوته غير المنضبط .

وإذا أردنا إعادة بناء الصورة الذهنية لرجل الدين أو

عالم الدين ، فيجب بناؤها على أساس سليم علميًّا ومهاريًّا وفكريًّا وتربويًّا ، يجب أن نحرر الخطاب الديني من أصحاب الأهواء والأفهام السقيمة على حد سواء ، وأن نتحول بقضية الخطاب الديني من كونه وظيفة إلى رسالة ، وأن يتم التركيز على الكيف لا الكم ، فإذا ما بدأ الباحث بتعلم العلوم الدينية فإن ذلك يتطلب دراسته لمكون ثقافي عام لا يقل عن أربعين في المائة بما يؤهله لفهم الواقع الذي يعيشه بكل جوانبه ، ويحقق بناء العقلية الجامعة دينيًّا وثقافيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وفكريًّا وقانونيًّا وإنسانيًّا ، ولا مانع أيضًا من النظرية العكسية على أن يتم النظر في قبول الحاصلين على شهادات علمية في التخصصات المختلفة ممن لديهم الاستعداد لدراسة العلوم الدينية في برامج تأهيل متقدمة في مجال الثقافة الإسلامية على أيدي العلماء المتخصصين، ثم نقوم بعمل مزج وتدريب مشترك لهؤلاء وأولئك ، بما يتيح فرصًا واسعة للاحتكاك المباشر والحوار المباشر بين هؤلاء

وأولئك ، مما يسهم في التقارب بدل التنافر ، وقد قالوا : من جهل شيئًا عاداه.

وعلينا – كل في مجاله وميدانه – أن نعمل على تصحيح الصورة الذهنية عن ديننا من خلال نشر الفكر الوسطي المستنير ، وتفكيك الفكر المتطرف ، والتمسك بأخلاق الإسلام ومثله العليا ، وأن نعمل كذلك على تصحيح الصورة الذهنية عن أوطاننا من خلال العمل ، والإتقان ، والإبداع ، والابتكار ، والسلوك القويم معًا .

❊ ❊ ❊

الوعـــي المائي

لا شك أن الوعي والثقافة مفتاحان هامان لحل كثير من المشكلات في حياتنا ، فالنظافة ثقافة ، والنظام ثقافة ، والإتكيت ثقافة ، والترشيد ثقافة ، ويمكن أن تكون الثقافة حلاًّ ناجعًا لكثير من مشكلاتنا العصرية المزمنة وغير المزمنة ، ويجب أن نعمل ولا نيأس ، وأن نُلح على حل ما لدينا من المشكلات دون كلل أو ملل ، فمدمن القرع للأبواب قد يلج، وكثيرًا ما يلج .

ولا شك أن قضية المياه أحد أهم التحديات المعاصرة ، وأن التحولات المناخية قد تزيد الأمور تعقيدًا في كثير من مناطق العالم ، مما يتطلب وعيًا دوليًّا بقضايا المياه ؛ لذا نجد بعض الدول رغم الوفرة المائية الشديدة بها تطبق الترشيد بقوة ، وفي أعلى درجاته ، حتى يصير الترشيد ثقافة مجتمع، وثقافة شعب ، وثقافة أمة .

وهذا هو منهج ديننا الحنيف الذي نبذ الإسراف في كل شيء ونهى عنه ، يقول الحق سبحانه : {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا

وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[1]، ويقول سبحانه : {وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا}[2].

ولا شك أن التبذير أعم من أن يكون في المال ، فإنه يشمل التبذير في جميع المجالات بما فيها الإسراف في استخدام الماء أو غيره ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ ، فَقَال : مَا هَذَا السَّرَفُ ؟ فَقَال : أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ ؟ فَقَال : نَعَمْ ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ)[3].

نعم الإسراف إسراف ولو كان في الوضوء ، ولو كنت على نهر جار ، فالإسراف لا علاقة له بالقلة أو الكثرة ، وإلا لطلبنا من الفقير أن يرشد وتركنا الغني يفعل ما يشاء ، غير أن

---

(١) الأعراف : جزء من الآية : ٣١.

(٢) الإسراء: ٢٦، ٢٧.

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الطهارة ، باب مَا جَاءَ في الْقَصْدِ في الْوَضُوءِ ، حديث رقم : ٤٦٠.

الأمر بالترشيد والنهي عن الإسراف جاء عامًّا للفقير والغني على حد سواء ، في الندرة والوفرة بلا تفصيل ولا استثناء .

ونؤكد أن نقطة مياه تساوي حياة ، فكل نقطة ماء يمكن أن تكون سببًا في حياة إنسان أو حيوان أو طائر أو نبات ، يقول الحق سبحانه : {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}[1]، وإهدار كل نقطة ماء قد يعني إهدار حياة ، كما أن كل نقطة ماء تساوي مالاً مقومًا ، وفقدها أو إهدارها يعني مالا مقومًا يذهب هدرًا ، كما أن الحفاظ عليها نقية بلا تلوث يعد حفاظًا على ثروة مالية ، وأن تلويثها يعني إهدارًا مائيًّا وماليًّا معًا ، لأن تنقيتها تترجم إلى مال وأثرها على الصحة لا يقوم بمال .

وقد جعل الحق سبحانه وتعالى إنزال الماء بقدر مقدور وميزان دقيق ؛ لأنه إن قل عن الحاجة أدى إلى الهلاك بالعطش ، وإن زاد عن الحاجة أدى إلى الهلاك بالغرق ، والحكمة تكمن في رحمة الله (عز وجل) في إنزاله بقدر ،

---

(1) الأنبياء : ٣٠.

حيث يقول الحق سبحانه: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ}[1]، ويقول سبحانه : {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ}[2].

فالماء نعمة يجب الحفاظ عليها ورزق يستوجب الشكر ، يقول الحق سبحانه : {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ}[3]، ويقول سبحانه :{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[4].

---

(١) المؤمنون : ١٨.

(٢) الحجر : ١٩ – ٢٢.

(٣) غافر : ١٣.

(٤) الأعراف : ٩٦ .

ويجب أن نحسن شكر هذه النعمة العظيمة ، وأن ندرك أمرين:

الأمر الأول : أن النعمة تدوم بالشكر ، وأن الشكر لا يكون بالكلام وحده إنما يكون بالعمل والأخذ بالأسباب ، فمن حيث كون الماء نعمة تستوجب الشكر ، يقول الحق سبحانه: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ}(١)، ويربط سبحانه شكره بزيادة النعم ، فيقول سبحانه : {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}(٢)، ويقول سبحانه: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا}(٣).

---

(١) الواقعة : ٦٣ – ٧٠.

(٢) إبراهيم : ٧.

(٣) الجن : ١٦.

الأمر الآخر : أن نترجم الشكر إلى عمل بالحفاظ على كل قطرة ماء ، وتعظيم الإفادة منها ، وترشيد استخدامها ، وعدم تلويث مياه النهر أو البحر أو الآبار ، أو الجور على المجاري المائية أو تعطيل هذه المجاري ، أو الجور في استخدام المياه على حقوق الآخرين ، أو مخالفة التعليمات الصادرة عن الوزارات المعنية في هذا الشأن .

* * *

الوعي بالقضية السكانية

بداية نؤكد أن ثاني أهم تحد أمام الدولة المصرية بعد الإرهاب هو مخاطر الانفجار السكاني ، فزيادة نحو مليوني ونصف المليون نسمة سنويًّا يعني أننا في حاجة إلى بناء ألفين وخمسمائة مدرسة على الأقل بتجهيزاتها وتوفير نحو خمسين ألف معلم ، وثلاث جامعات ، ونحو مليون ومائتين وخمسين ألف وحدة سكنية سنويًّا ، ناهيك عن الخدمات الصحية والبنية التحتية وتوفير فرص العمل ، وهو ما يعني أننا في حاجة إلى بناء دولة كاملة سنويًّا ، إضافة إلى تحسين المرافق والخدمات الحالية ، وهو ما لا تقوى عليه أي دولة في العالم .

ونؤكد أن مجال الفتوى في موضوع تنظيم النسل والعملية الإنجابية يجب أن يتجاوز في حالتنا المصرية الراهنة القول بالحل إلى الحكم بالضرورة ، فهو بالفعل ضرورة ملحة .

ونؤكد أن تصحيح المفاهيم الخاطئة فيما يتصل بالقضايا السكانية يدخل في صميم تجديد وتصويب الخطاب الديني وتصحيح مساره ، وهذا نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول : (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)[1]، فاشترط (صلى الله عليه وسلم) الباءة التي تشمل القدرة على الإنفاق وتحمل تبعات بناء الأسرة كشرط للزواج، ومن باب أولى فهي شرط للإنجاب ، فما بالكم بالإنجاب المتعدد ؟! ألم يقل النبي (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يقوت)[2].

وحيث يقـول نبينـا (صلى الله عليه وسلم) : (تَزَوَّجُـوا

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب قَوْلِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ) ، حديث رقم : ٥٠٦٥ ، وصحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ وَوَجَدَ مُؤْنَةً ، حديث رقم : ٣٤٦٤ .

(٢) سنن أبى داود ، كتاب الزكاة ، باب في صِلَةِ الرَّحِمِ ، حديث رقم: ١٦٩٤.

الْوَلُودَ الْوَدُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ)[1]، يتوجه المعنى إلى الكثرة النافعة المنتجة القوية التي يقول فيها سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعيفِ وَفي كُلٍّ خَيرٌ)[2]، وهذه القوة التي تشمل سائر جوانب القوة – في الفكر ، والثقافة ، والمستوى الإيماني ، والتعليمي ، والاقتصادي ، والعسكري ، مع الإخلاص لله (عز وجل) في القول والعمل – هي مناط وموضع المباهاة .

أما الكثرة التي تورث الضعف ، أو الجهل ، أو التخلف عن ركب الحضارة ، والتي تكون عبئًا ثقيلا لا تحتمله ولا يمكن أن تحتمله أو تفي بمتطلباته موارد الدولة وإمكاناتها ، فهي الكثرة التي وصفها نبينا (صلى الله عليه وسلم) بأنها

---

(١) سنن النسائي، كتاب النكاح ، باب عَلَى مَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ ، حديث رقم : ٣٢٤٠.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب في الأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالاِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ ، حديث رقم : ٦٩٤٥ .

كثرة كغثاء السيل ، لا غناء منها ولا نفع فيها ، فهي كثرة تضر ولا تنفع .

وهذا كله إضافة إلى حقوق الطفل في الرعاية والإرضاع ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ}(1)، وهذا الإرضاع حق للطفل ، لدرجة أن بعض الفقهاء أطلقوا على اللبن الذي يرضعه الطفل من أم حامل " لبن الغِيْلَة " ، وكأن أحد الطفلين اغتال حق أخيه أو أن كلا منهما قد اغتال جزءًا من حق أخيه .

وكذلك حقه في التربية السوية ، وفي المطعم والملبس والصحة والتعليم ، أما التقصير في حق الأبناء وعدم الوفاء بواجباتهم في التربية فيعدُ ظلمًا لهم ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يوضح لنا أننا مسئولون عن أبنائنا الذين هم أمانة في أعناقنا ، فيقول (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ

---

(1) البقرة : ٢٣٣.

يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ)[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ راعٍ ، وكُلُّكُمْ مسئولٌ عنْ رعِيَّتِهِ ، والأَمِيرُ رَاعٍ، والرَّجُلُ راعٍ علَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، والمرْأَةُ راعِيةٌ عَلَى بيْتِ زَوْجِها وولَدِهِ ، فَكلُّكُمْ راعٍ ، وكُلُّكُمْ مسئولٌ عنْ رعِيَّتِهِ)[2].

ولا يجب أن يقتصر تناولنا لهذه القضية على الجوانب الاقتصادية إنما يجب أن يبرز إلى جانب هذه الآثار الاقتصادية كل الآثار الصحية والنفسية والأسرية والمجتمعية التي يمكن أن تنعكس على حياة الأطفال والأبوين والأسرة كلها ، ثم المجتمع ، فالدولة ، فالزيادة السكانية غير المنضبطة لا ينعكس أثرها على الفرد أو الأسرة فحسب ، إنما قد تشكل ضررًا بالغًا للدول التي لا تأخذ بأسباب العلم في معالجة قضاياها السكانية ، مع تأكيدنا على أن السعة والضيق

(١) سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب في صِلَةِ الرَّحِمِ ، حديث رقم: ١٦٩٤.
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الْجُمُعَةِ في الْقُرَى وَالْمُدُنِ ، حديث رقم : ٨٩٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فَضِيلَةِ الإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ ، حديث رقم : ٤٨٢٨ .

في هذه القضية لا تقاس بمقاييس الأفراد بمعزل عن أحوال الدول وإمكاناتها العامة.

على أن الأحكام في هذه القضية يجب أن تراعي طبيعة الزمان والمكان والحال وظروف كل دولة أو مجتمع على حدة ، فلا نطلق أحكامًا عامة ، ففي الوقت الذي تحتاج فيه بعض الدول إلى أيدٍ عاملة ولديها من فرص العمل ومن المقومات ، والإمكانات ، وامتداد المساحة ، وسعة الموارد ، يكون الإنجاب مطلبًا ، وتكون الكثرة كثرة نافعة ومدعاة للتفاخر والمباهاة ، أما في الظروف التي تمر بها بعض الدول في ظل أوضاع لا تمكنها من توفير المقومات الأساسية من الصحة والتعليم والبنى التحتية في حالة الكثرة غير المنضبطة، وبما يؤدي إلى أن تكون كثرة كغثاء السيل ، فإن أي عاقل يدرك أنه إذا تعارض الكيف والكم فإن العبرة تكون بالكيف لا بالكم ، وهنا تكون القلة القوية خيرًا ألف مرة ومرة من الكثرة الضعيفة.

الوعي بخطورة المخدرات والإدمان

كما أننا في مواجهة شاملة وحاسمة مع الإرهاب فإننا في حاجة ماسة أيضًا وعاجلة إلى مواجهة شاملة وحاسمة مع إرهاب آخر لا يقل خطورة وضراوة واستهدافا للمجتمع وشبابه من استهداف المجتمع وشبابه بالفكر المتطرف وهو إرهاب الإدمان والمخدرات .

فإفشال الدول أو إسقاطها أو إضعافها أو تفتيت كيانها بشتى السبل هو الغاية المرجوة لأعدائنا ، فإذا وجدوا في بعض شبابنا ميلًا للتطرف والغلو عملوا على استقطابهم وتجنيدهم من خلال الجماعات المتطرفة والفكر المتطرف ، ومن وجدوا فيه ميلًا للانحلال والتسيب حاولوا اجتذابه من خلال ما يناسب طبيعته ومزاجه سواء من جهة جره إلى جانب الإلحاد أو الإدمان أو الشذوذ ، بما يؤدي إلى تفسخ المجتمع وانحلاله وضياع شبابه .

وقد تطور الأمر في الاستهداف فرأينا الجماعة المتطرفة المتاجرة بالدين المتخذة منه ستارًا للمخادعة تتجه وبقوة إلى زراعة المخدرات وتجارتها لتغطية عملياتها الإرهابية، وتجنيد عناصر جديدة تابعة لها من جهة ، وإفساد عقول شبابنا وإخراجهم من معادلة الصمود والمواجهة من جهة أخرى.

والمواجهة الشاملة تعني المواجهة الحاسمة لزراعة المخدرات ، وتجارها على اختلاف درجاتهم ومستوياتهم من أصغر مستخدَم في التوزيع إلى أكبر تاجر أو ممول ، مع تغليظ العقوبات بما يتناسب مع فظاعة الجرم ، وتكثيف برامج التوعية وتوفير العلاج المناسب للراغبين في الإقلاع عن التعاطي ، ورعايتهم علاجيًّا ونفسيًّا وفكريًّا ، مع تكثيف التوعية دينيًّا وثقافيًّا وإعلاميًّا .

على أننا نحتاج إلى تكثيف إعلامي وثقافي موازٍ يشمل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ، وكذلك

الأنشطة الثقافية والشبابية ، وبخاصة المحاضرات الثقافية العامة بالمدارس والجامعات .

والذي لا شك فيه أن الخمر أم الخبائث ، لأن الإنسان إذا شرب الخمر سكر ، وإذا سكر هذي ، فربما قتل ، أو سرق، أو ارتكب الحماقات ، والخمر مخلة بالمروءة ، لذا رأينا بعض العرب في جاهليتهم يهجرونها ولا يتناولونها ، ويرونها مذهبة للمروءة مسقطة لها ، فقد حرّم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الخمر على نفسه ، فلم يشربها في الجاهليّة ولا الإسلام ، وذلك أنّه مرَّ برجل سكران يضع يده في العذرة ويدنّيها من فيه فإذا وجد ريحها صرف عنها ، فقال: إنّ هذا لا يدري ما يصنع وهو يجد ريحها فحرّمها "، وكان أبو هريرة (رضي الله عنه) يقول : (مَنْ زَنَى أَوْ شَرِبَ الْخَمْرَ نَزَعَ اللَّه مِنْهُ الْإِيمَان كَمَا يَخْلَع الْإِنْسَان الْقَمِيص مِنْ رَأْسه)(١)، وكان الحسن البصري (رحمه الله) يقول : " لو كان

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، كتاب الإيمان ، حديث رقم: ٥٦ .

العقل يشترى لتغالى النّاس في ثمنه ، فالعجب ممّن يشتري بماله ما يفسده " .

على أن الإسلام قد شدد في النهي عن شرب الخمر أو حتى مجرد الاقتراب من مجالسها ، فقال الحق سبحانه : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ* وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}[1]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقْعُدْ عَلَى مَائِدَةٍ يُشْرَبُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ)[2].

(١) المائدة : ٩٠ – ٩٣.

(٢) سنن الدارمي ، كتاب الشربة ، باب النَّهْيِ عَنِ الْقُعُودِ عَلَى مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ ، حديث رقم : ٢١٤٥ .

وتشديدًا في النكير على كل من اقترب من الخمر متعاطيًا أو بائعًا أو صانعًا ، قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ)[1].

على أن العبرة في الحكم هي حدوث الإسكار ، فكل مسكر خمر ، وما أسكر كثيره فقليله حرام ، على أن الأمر لا يقاس على من فسدت طبيعتهم من كثرة السكر ، إنما يقاس بأصحاب النفوس الصافية التي لم تلوث بالتعاطي أو الإدمان .

* * *

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأشربة ، باب الْعِنَبِ يُعْصَرُ لِلْخَمْرِ ، حديث رقم : ٣٦٧٦.



الوعي بمخاطر الإلحاد

لا شك أن الإلحاد يشكل خطرًا داهما على الفرد والمجتمع والوطن والأمة العربية كلها ، فهو يتهدد النسيج الاجتماعي والفكري من جهة ، كما أنه يتهدد أمنها القومي من جهة أخرى ، فتحت مسمى حرية المعتقد يهدف أعداء الأمة إلى تمزيق كيانها وضرب استقرارها بكل السبل والأساليب الشيطانية، سواء بتبني ودعم الجماعات الإرهابية التي تسيئ إلى صورة العرب والمسلمين ، وتصورهم على أنهم همج رعاع رجعيون يعودون بالإنسانية إلى ما قبل التاريخ ، أم بدعم الجماعات الإلحادية المتحللة من كل القيم الأخلاقية والوطنية ممن يسهل توظيفهم لخدمة أجندات ومخططات أجنبية دون وازع من دين أو ضمير وطني .

وإننا لندرك ونؤكد أن الإسلام قائم على حرية الاختيار ، حيث يقول الحق سبحانه : {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ

الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[1]، ويقول الحق سبحانه : {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[2]، ويقول سبحانه : {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[3]، غير أن هذه الحرية التي نؤمن بها ونعمل على ترسيخها في سبيل تحقيق المواطنة المتكافئة شيء ، والدعوة إلى الفوضى والإلحاد الذي تنبذه الشرائع السماوية شيء آخر .

أما في ضوء ما تمر به منطقتنا من استهداف متعدد الجوانب في ضوء حروب الجيل الرابع التي تهدف إلى تمزيق المجتمعات وتحللها في جميع الجوانب قيمًا وأخلاقًا بشتى السُّبل: بالإرهاب المصنوع ، والإلحاد الموجه أو

(١) البقرة : ٢٥٦.

(٢) يونس : ٩٩.

(٣) هود : ١١٨، ١١٩.

الممول ، وإثارة النعرات العرقية أو القبلية أو الطائفية ، فصار الإلحاد موجهًا ومسيسًا وممولاً ، قصد الإسهام في إحداث حالات الفوضى والإرباك ، إذ لم تعد كثير من الأمور في مجتمعاتنا عفوية أو طبيعية ، فقد صارت مخططات الأعداء تنال كل جوانب حياتنا ومقوماتها ، مما يتطلب التوعية بمخاطر كل الظواهر السلبية ، إذ إن هذه المخططات تهدف من خلال الإلحاد المسيس أو الموجه الممول إلى نزع القيم الإيجابية من نفس الملحد ، وبما يفرغه من الرقابة الذاتية الأصيلة ، رقابة الضمير ، ومراقبة خالق الكون والحياة، فلم يعد أمامه سوى القانون الذي يسعى إلى التفلت منه ما وسعه ذلك .

على أن الشرائع السماوية قد أجمعت على ما فيه خير البشرية ، وما يؤدي إلى سلامة النفس والمال والعرض ، وقيم: العدل ، والمساواة ، والصدق ، والأمانة ، والحلم ، والصفح ، وحفظ العهود ، وأداء الأمانات ، وصلة الأرحام ،

وحق الجوار ، وبر الوالدين ، وحرمة مال اليتيم وصالح البلاد والعباد ، فحيث تكون المصلحة فثمة شرع الله ، وهي مبادئ إنسانية عامة لم تختلف عليها الشرائع السماوية ، ولم تنسخ في أي شريعة منها .

أما الإلحاد فله مفاسد وشرور لا تُحصى ولا تُعد على الفرد ، والمجتمع ، والأمم ، والشعوب ، منها : اختلال القيم وانتشار الجريمة ، وتفكك الأسرة والمجتمع ، والخواء والاضطراب النفسي ، وتفشي ظواهر خطيرة كالانتحار ، والشذوذ ، والاكتئاب النفسي .

وهو صناعة أعداء هذه الأمة الذين فشلوا في زرع الفتنة بين نسيجها الوطني شديد الصلابة والتماسك ، فعمدوا – ضمن ما عمدوا إليه من وسائل متعددة – إلى محاولة جديدة لتدمير هذه الأمة ، وهدم بنيانها من أساسه ، بزرع الحيرة والشك في أصحاب النفوس الضعيفة ، بإيهامهم أن انسلاخهم من عقائدهم الراسخة سيفتح أمامهم باب

الحرية في الشهوات والملذات واسعًا ، بلا وخز من ضمير أو رقابة لأية سلطة إيمانية .

غير أن السير في هذا الدرب مُدمّر لصاحبه ، مُهلِك له في دنياه وآخرته ، فواقعُ الملحدين مُرٌّ مليء بالأمراض النفسية والجسدية من الشذوذ ، والانحراف ، والاكتئاب ، وتفشّي الجريمة ، واتساع نطاق الانتحار والقتل والتدمير، يقول الحق سبحانه : {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى}(1)، ويقول سبحانه : {وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}(2).

على أننا نؤكد أن الدين قوام الحياة الطبيعية وعمادها ، والحياة بلا دين حياة بلا قيم ، بلا ضوابط ، بلا أخلاق،

---

(1) طه : ١٢٥–١٢٧.

(2) محمد : ٨ .

والدين هو العمود الفقري لضبط مسار البشرية على الطريق القويم {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[1]، ولا يمكن للعقوبات الدنيوية والأعراف والتقاليد وحدها مهما كانت دقتها أن تضبط حركة الإنسان في الكون ، ما لم يكن لهذا الإنسان ارتباط وثيق بخالقه ، وقد قال أحد الحكماء : من الصعب بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل ، أن نخصص لكل إنسان حارسًا يحرسه أو مراقبًا يراقبه ، وحتى لو خصصنا لكل إنسان حارسًا يحرسه أو مراقبًا يراقبه ، فالحارس قد يحتاج إلى من يحرسه ، والمراقب قد يحتاج إلى من يراقبه ، ولكن من السهل أن نربي في كل إنسان ضميرًا حيًّا ينبض بالحق ويدفع إليه ، راقبناه أو لم نراقبه ، لأنه يراقب من لا تأخذه سنة ولا نوم .

ومع أن بناء الدول لا يقوم على الضمائر وحدها ، إذ لا بد من قانون منظم نعمل على إقراره وإعلاء شأنه ، مؤمنين

---

(١) الروم : ٣٠ .

وموقنين أن الله (عزّ وجلّ) يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وأنه لا يجوز أن يُترك الناسُ فوضى بلا نظام ولا قانون حاكم، فإننا نؤكد أنه مع كل احترامنا لسيادة القانون وتأكيدنا على إعلاء رايته ، وتعزيز مكانته ، وترسيخ حكم القانون ودولة القانون ، فإننا نؤكد أن العمل على إيقاظ الضمائر وتعميق الحس الإيماني والخوف من الله (عزّ وجلّ) أمر لا غنى عنه لصلاح الفرد والمجتمع .

❊ ❊ ❊

أهمية العمق الأفريقي

أفريقيا اليوم ليست أفريقيا الأمس ، وأفريقيا معنا ولن تكون علينا ، وظروفنا وأوضاعنا ومشكلاتنا وتحدياتنا تحمل كثيرًا من أوجه التشابه والهموم المشتركة ، ومعظم أبناء القارة الأفريقية يبحثون عن السلام وعن الحياة الكريمة ، وليس للقارة مطامع في ثروات غيرها ، فأقصى ما يتمناه أهلها هو أن يتمتعوا بثروات بلادهم وخيراتها ، وليس لدى أكثرهم مانع من فتح أبوابهم للتعاون المشترك والقسمة العادلة للمكاسب المشروعة بينهم وبين المستثمرين الجادين من خارجها ، وهي قارة لا تزال بكرًا وقادرة على الاستيعاب لضخامة الفرص الاستثمارية بها .

جذورنا مع القارة الأفريقية عميقة ، وتاريخنا معها تاريخ مشرف ، ولمصر في القلب منها مكانة عظيمة ، فقط نريد أن نعود وبقوة إلى هذه الجذور ، وأن نقوم بالدور الذي كنا نقوم به عبر تاريخنا القديم والوسيط والحديث من مساعدة

ومساندة دول هذه القارة ما وسعنا ذلك ، ونحن نمتلك من الرؤى والخبرات ما يشكل إضافة لهذه القارة .

وعلينا جميعًا كتابا ومفكرين أن نجعل من الشأن الأفريقي محورًا هامًّا وأساسًا ، وأن نعمل على خلق رأي عام بأهمية دورنا الأفريقي ، وأهمية علاقتنا الأفريقية ، وأنها إضافة كبيرة إلى رصيدنا الدولي والاستراتيجي وليست خصما منه كما أننا – أيضا– إضافة كبيرة إلى رصيد القارة العظيمة ولسنا خصما منه ، وأن نقدر لأشقائنا الأفارقة دورهم البناء في النهوض بالقارة ، في إطار ما حققته بعض دولها من مستويات تبشر بأمل كبير للقارة كلها.

إننا في حاجة أن نعمل مع أشقائنا الأفارقة ، وأن نستثمر معا ، وأن ننشئ شراكات واسعة مع دول القارة ، من باب التنمية الشاملة لجميع دولها وصالح جميع شعوبها .

وقد حاولت أن أضرب أنموذجًا في إطار تخصصي العلمي الدقيق وهو مجال الدراسات الأدبية والنقدية ،

فصوبت وجهتي مبكرًا تجاه أفريقيا وأعددت دراسة عن الساحل الشرقي بها تحت عنوان : (الشعر العماني في المهجر الأفريقي) تمت طباعتها عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

وإذا كان مؤرخو الأدب قد اهتموا بمدرستي المهجر : المهجر الشمالي الذي نشأ في أمريكا الشمالية والعصبة الأندلسية التي نشأت في أمريكا الجنوبية ، فإنني أفردت كتابا عن الشعر العماني والشعراء العمانيين في المهجر الأفريقي والذي يأتي على رأسهم وفي مقدمتهم الشاعر الكبير " أبو مسلم الرواحي" أحد أكبر وأهم الشعراء العمانيين عبر تاريخ عمان القديم والحديث إن لم يكن أكبرهم وأشهرهم على الإطلاق .

وقد اتخذت وزارة الأوقاف المصرية من الاتصال بأفريقيا والاهتمام بها خطًّا ثابتًا لم يتغير سواء في إيفاد مبعوثين أم في دعوة كبار علمائها إلى مؤتمراتنا الدولية التي بلغت حتى تاريخه تسعة وعشرين مؤتمرًا دوليًّا ، وفي

مسابقاتنا العالمية للقرآن الكريم التي بلغت حتى تاريخه خمسًا وعشرين مسابقة عالمية ، ومن أوائل الفائزين فيها في مسابقة العام الماضي من قارة أفريقيا حسن مصطفى بشير من دولة نيجيريا بالفرع الثاني ، وهيثم صقر أحمد من دولة كينيا بالفرع الثالث ، وفي العام قبل الماضي البشير أبو بكر من دولة نيجيريا ، وتمت دعوة عدد كبير من علمائها للمشاركة في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في يناير ٢٠١٩م ، ودعوة عدد كبير من أبنائها للمشاركة في المسابقة العالمية للقرآن الكريم في مارس ٢٠١٩م ، مع توسعنا في التعاون مع أشقائنا الأفارقة في كل ما يتصل بنشر الفكر الوسطي المستنير ، وترسيخ أسس العيش المشترك وفقه التعايش السلمي بين البشر جميعا وحق الإنسان في الحياة الكريمة لكونه إنسانًا ، بغض النظر عن دينه أو لونه أو جنسه أو عرقه أو لغته أو قبيلته .

❋ ❋ ❋

بنـــاء الـــدول

بناء الدول لا يكون بمجرد الكلام ولا الأحلام ولا الأماني ، فلا بد من جهد وعرق وبذل وتضحية ، يقول الشاعر :

بالعلم والمال يبني النـاس ملكهم
لم يُبْن مُلْكٌ على جهـلٍ وإقـــلالِ

ويقول الآخر :

أرونـــي أمـــة بلغــت منـــاهـــــا
بغيـــر العلـــم أو حـــد اليمانـــي

إشارة إلى الجمع بين العلم والقوة ، مع العمل والإنتاج، فالأمم التي لا تقوم بإنتاج مقوماتها الأساسية ، وتكون عالة على غيرها لا تملك كلمتها ولا استقلال قرارها ، فالدين والوطنية معًا يتطلبان منا الجهد والعرق والعمل والإنتاج ، ولا سيما أن ديننا هو دين العمل والإتقان ، يقول



الله (عز وجل) : {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}(١)، ويقول سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}(٢)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) (٣).

---

(١) الملك:٢.

(٢) الجمعة: ٩ – ١١.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ ، حديث رقم: ٢٠٧٢.

ولم يطلب ديننا منا مجرد العمل إنما يطلب منا العمل المتقن ، حيث يقول الحق سبحانه : {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}[1]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ)[2].

وإلى جانب العلم والعمل لا بد من الولاء والانتماء للوطن ، وإيثار المصلحة العامة له على المصالح الخاصة والشخصية ، وإدراك أن مصالح الأوطان من صحيح مقاصد الأديان ، وأن كل ما يدعم ويقوي الدولة الوطنية هو من صحيح مقاصد الأديان ، وأن كل ما ينال من قوة الدولة أو كيانها إنما يتنافى مع كل الأديان والقيم الوطنية والإنسانية ، ولنعلم أن التضحية في سبيل الوطن والشهادة في سبيله إنما هي من أعلى درجات الشهادة في سبيل الله (عز وجل) ،

---

(١) الكهف : ٣٠ .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ، الخامس والثلاثون من شعب الإيمان وهو باب في الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها ، حديث رقم: ٥٣١٤ .

وكما تبنى الأوطان بالعلم والعمل والفداء والتضحية في سبيل الوطن وحسن الانتماء إليه فإنها يجب أن تبنى – أيضًا– على القيم والأخلاق النبيلة ، فالأمم التي لا تقوم ولا تبنى على القيم والأخلاق إنما تحمل عوامل سقوطها في أصل بنائها وأسس قيامها ، فما بالكم وديننا دين القيم والأخلاق؟! وبعثة رسولنا (صلى الله عليه وسلم) كان الهدف الأسمى منها هو إتمام مكارم الأخلاق ؟ حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)(1).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : "سُئِلَ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ: (تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الخُلُقِ) ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ : (الفَمُ وَالفَرْجُ)(2)، ويقول (صلى الله عليه وسلم):

---

(1) مسند أحمد ١٤/ ٥١٢ ، حديث رقم: ٨٩٥٢ .

(2) سنن الترمذي ،كتاب البر والصلة ، باب مَا جَاءَ في حُسْنِ الْخُلُقِ ، حديث رقم : ٢١٣٥ .

(إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ المؤمنينَ إِيمَانا : أَحسَنُهُمْ خُلُقا ، وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ)[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلاقًا)[2]، وروى الإمام مالك في الموطأ أن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال : آخر ما أوصاني به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين وضعت رجلي على الرحل أن قال : (أحسن خلقك للناس يا معاذ)[3]، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ فِي الميزانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ)[4]، ويقول (صلى

(١) سنن الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب مَا جَاءَ فِي اسْتِكْمَالِ الإِيمَانِ وَزِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ ، حديث رقم: ٢٨٢٠ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب مَا جَاءَ فِي مَعَالِى الأَخْلاَقِ ، حديث رقم : ٢١٥٠ .

(٣) الموطأ ، رواية يحيى الليثي ، كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء في حسن الخلق ، حديث رقم : ١٦٠٢ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب فِي حُسْنِ الْخُلُقِ ، حديث رقم : ٤٨٠١ .

الله عليه وسلم) : (اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)[1]، ويقول الشاعر :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

* * *

(١) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ ، حديث رقم: ٢١١٥.

حمايــة الأوطــان

حماية الأوطان لا تنفك عن مقاصد الأديان ، فقد نشأنا وتربينا وتعلمنا أن حماية الوطن لا تخرج عن أحد أمرين : إما أن تكون فرض عين ، وإما أن تكون فرض كفاية ، فإذا كانت الأوطان آمنة مستقرة لا تتعرض لإرهاب ولا لعدوان ، كانت حماية الوطن فرض كفاية إذا قام بها بعض أبناء الوطن سقط الإثم عن الباقين ورفع الحرج عنهم ، أما في حالة تعرض الأوطان لأي مخاطر فإن حماية الأوطان من هذه المخاطر تكون فرض عين ، كل في حدود ما يكلف به أو يستطيع فعله أو يتوجب عليه فعله في ذود الخطر عنها .

ففي الوقت الذي تقف فيه قواتنا المسلحة الباسلة ومعها رجال الشرطة البواسل سدًّا منيعا وحصنا قويا في وجه قوى البغي والإرهاب والشر ، فإن من واجبنا أن نكون ظهيرًا قويًّا لقواتنا المسلحة الباسلة وشرطتنا الوطنية الباسلة ، وأن نوفر لهما كل ما يحتاجان إليه لأداء مهامهما النبيلة ، وفي

الحديث النبوي الشريف : (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَقَدْ غَزَا ، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ ، فَقَدْ غَزَا)[1]، ففي الحديث لَفْتُ نظر المجتمع إلى ضرورة تجهيز حماة الأوطان بالعُدد والعتاد الكافيين للقيام بمهامهم على الوجه الأكمل من جهة ، ورعاية أسرهم سواء في أثناء قيامهم بمهامهم البطولية أم في حالة استشهاد أحدهم من جهة أخرى ، وذلك بأن يقوم المجتمع بالوفاء لآل الشهيد وأسرته، فلا جود أعز من جود الإنسان بنفسه في سبيل وطنه، وإن كل ما يقدم لأهله من زوجه وأبنائه لهو دون ما جاد به البطل في سبيل الوطن ، حيث جاد بروحه ونفسه ودمه.

وبما أن حروب اليوم ليست كحروب الأمس ، ولا تنحصر في المواجهة المباشرة ، فثمة حروب الجيل الرابع والجيل

(١) صحيح البخاري ،كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ ، بَابُ فَضْلِ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا ، أَوْ خَلَفَهُ بِخَيْرٍ، حديث رقم : ٢٨٤٣ ، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْإِمَارَةِ ، بَابُ فَضْلِ إِعَانَةِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ بِمَرْكُوبٍ وَغَيْرِهِ ، حديث رقم : ١٨٩٥.

الخامس ، وثمة حروب الشائعات والكذب والافتراء ، وتشويه الرموز الوطنية ، وقلب الحقائق ، وتهوين الإنجازات ، وتهويل أي هنات ولو يسيرة ، قصد هدم الدولة وإشاعة الفوضى من أعداء الدين والوطن ، ومن يستخدمونهم لتفكيك دولتنا وتفتيتها وإسقاطها ، فكتائب الجماعة الإرهابية تحاول بكل ما أوتيت من قوة إثارة الرأي العام لإشاعة الفوضى محترفة الكذب والافتراء والأباطيل ، فقد عميت أبصارهم وطمس على قلوبهم وصاروا لا يلوون على خلق ولا دين ولا قيم ، فالغاية عندهم تبرر كل الوسائل غير المشروعة ، فلا غايتهم مشروعة ولا وسيلتهم مشروعة .

وعلينا أن نحذر سُمَّ هذه العناصر المشئومة ، بالتحري والتثبت وعدم اللهث خلف ما تنشره المواقع والصفحات الإخوانية والصفحات المجهولة فاقدة المصداقية .

حماية الأوطان ليست واجب القوات المسلحة وحدها ، ولا رجال الشرطة وحدهم ، إنما هو واجب أبناء الوطن

جميعا كُلٌّ في مجاله وميدانه ، وأول واجباتنا هو كشف طبيعة هذه الجماعات والعناصر والخلايا الإلكترونية الإرهابية ، وكشف أمر عمالتهم وخيانتهم ، مع اتخاذ الإجراءات القانونية الحاسمة ضد كل من تسول له نفسه العبث بأمن الوطن واستقراره ، وأن يلاقي إجرامهم رفضا شعبيا حاسما من كل وطني غيور على وطنه حريص على أمنه وسلامه .

وعلى أن حماية الأوطان أيضاً تتطلب توعية كافية بما تحقق من إنجاز في جميع المجالات ، والحفاظ عليها ، والدفاع عن كل المكتسبات التي تحققت بالجهد والعرق والإرادة والتصميم ، وعدم السماح لقوى الشر والظلام بتشويهها أو النيل منها أو محاولة جرنا إلى الفوضى التي عصفت بكثير من دول المنطقة .

* * *

فقه المواطنة

لا شك أن كثيرًا من المشكلات العصرية وحالات الشقاق التي تصل إلى حد الاحتراب والاقتتال المجتمعي أو الدولي أحيانًا ، يمكن أن يحل الكثير منها بإقرار مبدأ المواطنة المتكافئة ، وترسيخ فقه المواطنة بديلا لفقه الأقلية والأكثرية ، فمصطلح الأقلية والأكثرية يشعرك ابتداءً بأن هناك فريقين ، أحدهما قوي والآخر ضعيف ولو بالمقياس العددي ، أما مبدأ المواطنة المتكافئة فتذوب فيه العصبيات الدينية والعرقية والطائفية والمذهبية والقبلية ، وسائر العصبيات الخاطئة المدمرة .

كما أن المواطنة الحقيقية تعني حسن الولاء والانتماء للوطن ، والحرص على أمن الدولة الوطنية ، واستقرارها ، وتقدمها ، ونهضتها ، ورقيها ، وتعنى الدولة الوطنية باحترام عقد المواطنة بين الشخص والدولة ، وتعني الالتزام الكامل بالحقوق والواجبات المتكافئة بين أبناء الوطن جميعًا دون

أي تفرقة على أساس الدين أو اللون أو العرق أو الجنس أو اللغة .

وأن مشروعية الدولة الوطنية أمر غير قابل للجدل أو التشكيك ، بل هو أصل راسخ لا غنى عنه في واقعنا المعاصر، حتى أكد بعض العلماء والمفكرين أن الدفاع عن الأوطان مقدم على الدفاع عن الأديان ؛ لأن الدين لا بد له من وطن يحمله ويحميه ، وإلا لما قرر الفقهاء أن العدو إذا دخل بلدًا من بلاد المسلمين صار الجهاد ودفع العدو فرض عين على أهل هذا البلد رجالهم ونسائهم ، كبيرهم وصغيرهم، قويهم وضعيفهم ، مسلحهم وأعزلهم ، كلٌ وفق استطاعته ومكنته ، حتى لو فنوا جميعا ، ولو لم يكن الدفاع عن الديار مقصدًا من أهم مقاصد الشرع لكان لهم أن يتركوا الأوطان ، وأن ينجوا بأنفسهم وبدينهم .

ونؤكد أن الوعي بالوطن والتحديات التي تواجه الدولة الوطنية يقتضي الإحاطة والإلمام بما يحاك له من

مؤامرات تستهدف إنهاك الدولة ، وبخطورة الإرهابيين والعملاء والخونة، والعمل على تخليص الوطن من شرورهم وآثامهم.

وأن العمل على تقوية شوكة الدولة الوطنية وترسيخ دعائمها مطلب شرعي ووطني ، وأن كل من يعمل على تقويض بنيان الدولة أو تعطيل مسيرتها ، أو تدمير بُناها التحتية ، أو ترويع الآمنين بها ، إنما هو مجرم في حق دينه ووطنه معًا.

على أن المواطنة ليست منة ولا فضلًا من أحد على أحد ، إنما هي حق ، بل التزامات وحقوق متكافئة ومتساوية، فكل حق يقابله واجب ، ولا شك أن مبدأ الحق والواجب أو الحق مقابل الواجب أحد أهم المبادئ العادلة التي تسهم في إصلاح المجتمع ، سواء أكانت في الحقوق والواجبات المتبادلة بين الآباء والأبناء ، أم بين الأزواج ، أم بين الجيران ، أم بين الأصدقاء ، أم بين

الشركاء في الوطن ، أم بين المواطن والدولة ، أم بين العمال وأرباب العمل، أم بين المعلم والمتعلم .

فما أحوجنا إلى ترسيخ مبدأ الحق مقابل الواجب في كل مجالات حياتنا وعلاقاتنا ، إذ لا يمكن للحياة ولا العلاقات أن تستقيم من جانب واحد ، فيكون أحد الشقين معتدلا والآخر مائلا ، إنما تستقيم الأمور باستواء الجانبين معا، والوفاء بالحقوق والواجبات معا ، نؤدي الذي علينا حتى يبارك الله (عز وجل) في الذي لنا .

على أن فقه المواطنة يقتضي إعلاء مبدأ الكفاءة ، وإتاحة الفرص المتساوية بين المواطنين جميعًا دون تمييز بينهم ، ففي مجال العمل العام والعمل المجتمعي لا صراعات ولا إقصاءات على أساس الدين أو الجنس أو العرق، فالفرص متساوية ، والواجبات متكافئة .

ومن أهم ما يجب أن نلفت النظر إليه هو دمج واستيعاب والعناية بكبار السن وبذوي الاحتياجات الخاصة

باعتبارهم مواطنين كاملي الحقوق والواجبات ، وعدم النظر إلى أي من ذوي الاحتياجات الخاصة نظرة تمييز ، ولهذا أطلقنا مع المجلس القومي لشئون الإعاقة مبادرة "لا للتمييز" ، فالمجتمع بكل أبنائه ، بتكافلهم ، وتكاملهم ، وتعاونهم ، ومشاركتهم جميعا في بنائه ، وكون كل فرد من أفراده إضافة إيجابية لا رقما مخصوما من رصيده ، فهو لهم جميعا وبهم جميعا ، وبهذه الروح تبنى الأوطان وتزدهر وتتقدم حتى تكون في مصاف الأمم الراقية المتقدمة ، وهو ما يجب أن نأخذ أنفسنا به حتى نصل بمصرنا العزيزة إلى المكانة التي تستحقها في مصاف الدول المتقدمة .

* * *

فقه الحياة السياسية

لعل من العجب العجاب أن يتصدى لفقه الحياة السياسية من لم يمارس السياسة قط أو يقترب من دوائرها أو لم يدرس كيف تدار شئون الدول يومًا من الأيام ، ولم يفهم معنى الدولة ، ولا ظروف العصر ، وربما لا يعرف كامل أسماء المؤسسات والمنظمات الدولية ، فضلا عن معرفة أدوارها ونظمها ولوائحها وطبيعة عملها ومقارها الرئيسية والفرعية ، ولم يقرأ كلمة واحدة في القانون الدولي ، ولا في قوانين المجال الجوي واستخدام الفضاء ، ولا أسس ترسيم الحدود بين الدول ، ولا حقوق استخدام المياه المشتركة ، ولا طبيعة عمل الشركات العابرة للحدود والقارات ، ولا مفاهيم التكتل الاقتصادي ، ولا نظام المحاكم الدولية أو قضايا التحكيم الدولي ، فضلا عن معرفة ما هو دستوري وما هو غير دستوري ، ومهام المؤسسات القضائية المختلفة ، ولا نظام إدارة البنوك أو البورصات ، ولا حوافز تشجيع الاستثمار ، ولا

آليات حفظ الأمن القومي ولا إدارة أمن المجتمعات ، ولا كيفية توفير الخدمات الأساسية فضلا عن تحديدها ، وترتيب أولوياتها ، ولا قرأ شيئا عن شئون الحياة السياسية وأسس بنائها والعلاقة بين السلطات ، ولا قواعد عمل كل منها.

وقد نرى للأسف الشديد أدعياء أو دخلاء لا يُلمون بشيء مما سبق ومع ذلك يطلقون الفتاوى أو الأحكام في الشأن العام الداخلي والخارجي دون بصيرة بالأمر أو حتى إلمام به ، وقد يورط أحدهم نفسه أو مؤسسته أو دولته في مشاكل لا يدرك عواقبها ولا نتائجها نتيجة تسرعه وعدم إدراكه مفهوم العلاقات الدولية ، وربما يسقط بعض النصوص دون فهمها ودون تحقيق مناطها على أحداث غير تلك الأحداث التي تناولها هذا النص آنذاك غير مفرق بين ما هو من شأن العقائد والعبادات وما هو من شئون نظام الحكم وإقامة الدول ، وبعبارة أدق بين ما هو ثابت وما هو متغير.

ومن له الحق في الفتوى أو التصرف فيما يتصل بشئون الدول ، ولهذا أكدنا أن إعلان التعبئة العامة للدفاع عن

حدود الدولة وكيانها " المعبر عنه في كتب التراث" بإعلان الجهاد هو من اختصاص ولي الأمر، وليس من اختصاص آحاد الناس أو جماعة منهم ، كما أكدنا أيضًا أنه ليس لآحاد الناس أو عامتهم الحكم على أحد بالكفر أو الخروج من الملة ، وإنما يثبت ذلك بحكم قضائي نهائي وبات ، لخطورة ما يترتب على الحكم بالتكفير والإخراج من الدين ، وللعلماء بيان ما يترتب على الفعل لا الحكم على الأشخاص، مما يتطلب التفرقة بين تكفير غير المعين وتكفير المعين ، فالأول الأمر فيه للعلماء والآخر الحكم فيه للقضاء .

وهذا كله يتطلب مزيدًا من الاحتياط عند الحديث في الشأن العام ، فضلا عن ضرورة إلمام من يتحدث فيه بالواقع المعاصر سياسيًّا واقتصاديًّا وقانونيًّا وثقافيًّا وفكريًّا ، مع الوقوف على سائر التحديات المحلية والإقليمية والدولية، حتى نضع كل شيء في نصابه ، ونحسب لكل كلمة حسابها، ونترك لكل أهل اختصاص أمر اختصاصهم .

❋ ❋ ❋

حروب الجيل الخامس

التاريخ شاهد ، والأيام شاهدة ، أن كل انتصار عسكري كان وراءه قائد شجاع، وآخرون مؤمنون بفكره ، واثقون فيه، داعمون له ، سواء من زملائه الذين يكونون خير سند له ، أم من أصحاب الفكر والرأي الذين يعدون خير داعم فكري ومعنوي له .

وفي عصرنا الحاضر تغيرت معطيات كثيرة ، وبخاصة في نظم الحرب وأساليبها ، فلم تعد الحرب أحادية البعد ، أي أنها لم تعد عسكرية محضة ، أو أمنية محضة ، ولا حتى مخابراتية محضة بالمفهوم التقليدي للنظم المخابراتية القديمة ، فقد تطورت أساليب حروب الجيل الرابع ، ودخلنا دون أن يشعر كثيرون في ما يمكن أن يطلق عليه حروب الجيل الخامس التي جرى ويجري تطبيقها فيما أطلق عليه زورًا وبهتانًا الربيع العربي المشئوم ، حتى صارت كلمة الربيع التي توحي بالبهجة وتشيع البسمة على حد قول البحتري :

أتاك الربيع الطلــق يختــال ضاحكًا
من الحسـن حتـــى كــاد أن يتبسمــا

توحي بعكس ذلك من الشؤم والخراب والتدمير ، وبالطبع لم يكن اختيار مصطلح الربيع العربي عفويًّا أو مصادفة ، إنما كان مقصودًا لإحداث لون من التعمية أو التعتيم، وتحقيق ضرب من المخادعة على شاكلة مصطلحات الفوضى الخلاقة ، والفوضى البناءة ، بدلا من الفوضى المدمرة ، مع أن الفوضى هي الفوضى لا تخلف غير الخراب والدمار .

وطبعًا لم يكن الربيع ربيعًا ، لأنه لم يخلف غير الخراب والدمـار والدمـاء ، وتجـاوزت الحيـل والأسـاليب القــذرة المبتكرة لإسقاط منطقتنا وإفشال دولها كل ما يمكن أن يطلق عليه حروب الجيل الرابع ، إلى ما يمكن أن نعتبره حالة خاصة صنعت لإنهاك منطقتنا فيما يمكن أن نطلق عليه حروب الجيل الخامس ، وهي الحروب الأكثر قذارة في

تاريخ الإنسانية ، لاستخدامها كل الوسائل غير المشروعة من توظيف الإرهاب وتبني الإرهابيين ودعمهم تحت مسمى حربهم ، وتعظيم أمر الخيانات ، وشراء الولاءات ، ومنهجة استخدام سلاح الشائعات الذي صار فنًا يكاد يدرس بل يُدرس ويتم التدريب عليه من قبل بعض الجهات المشبوهة ، وتُوظف له الكتائب الإلكترونية ، مع استخدام أقصى وسائل الحصار والضغط السياسي والاقتصادي والنفسي ، والمحاولات المستميتة في إثارة الشعوب وتأليبها على حكامها ، وتشويه الرموز والمكتسبات الوطنية ، والتشكيك في كل الإنجازات والتهوين من أمرها ، وتحالف الجماعات والقوى الإرهابية ، ومحاولات اختراق المؤسسات وإثارة أي نعرات تؤدي إلى الفرقة بآلية ممنهجة وغير مسبوقة ، والتوظيف غير المسبوق للمعلومة ، وتجنيد بعض وسائل التواصل الحديثة بل الكثير منها ، واللعب على وتر الحاجة والمصالح الآنية التي لا يحتمل بعضها الصبر عليها ،

ومحاولة كسر إرادة الشعوب ، والعمل على كسر هيبة الحكام، والتشكيك في العلماء والمفكرين والمثقفين الوطنيين ، ودعم مناوئيهم ، وتوجيه رسائل التهديد المبطنة تارة والصريحة أخرى للمتمسكين بمبادئهم المخلصين لأوطانهم، بإبراز مصائر من لم يسر في الركب وينضم للمخطط الآثم ، ويرفع راية التسليم ويركع ويُركّع من خلفه ، مما جعل قضية الصمود في وجه كل هذه الموجات العاتية أمرًا استثنائيًا يحتاج إلى عقيدة إيمانية ووطنية فولاذية ، وثقة في الله غير محدودة .

ولم يعد من الوطنية ولا الحكمة ولا الشعور بالمسئولية ولا حتى المصلحة الوطنية أو العامة ولا حتى المصلحة الشخصية أن يُترك القادة العسكريون والأمنيون وحدهم في ميدان هذه الحرب التي لم تعد تقليدية تعتمد على شجاعة المقاتل وحدها ، بل صار واجبًا حتميًّا شرعيًّا ووطنيًّا أن ندعم قياداتنا السياسية وقواتنا المسلحة الباسلة وشرطتنا

بكل ما نملك من وسائل الدعم مع تأكيدنا على مشروعية الدولة الوطنية في مقابل ما تسوقه الجماعات العميلة الخائنة التي تتاجر بدين الله (عز وجل) من عدم الاعتداد بحدود الدول ولا استقلالها ، وتراها حدودًا وهمية لا قيمة لها، بل ترى أوطانها حفنة من التراب لا قيمة لها ، وهو ما لا يخدم إلا مصلحة أعدائنا المتربصين بنا الذين يعملون على زعزعة الانتماءات الوطنية والقومية .

في حين أننا نؤكد أن الأمر على العكس تمامًا ، فكل ما يدعم صمود الدولة الوطنية ويدعم بناءها ويعزز مكانتها هو من صلب الدين ، وكل ما يهدد كيانها وينال من وجودها أو يسعى في أطرافها فسادًا أو إفسادًا إنما يتنافى مع كل مبادئ الدين والقيم والوطنية ، ويعد خيانة للدين والوطن ، وعمالة لأعدائهما المتربصين بنا .

على أن المسئولية الأكبر إنما تقع على عاتق علماء الدين والمثقفين والإعلاميين والكتاب ، لما لكل هؤلاء من

أثر بالغ في صناعة الوعي ، ومواجهة التحديات ، وتفنيد الشائعات ، وإبراز الحقائق ، وكشف حجم المؤامرات ، وهو ما يعيه ويتبناه كثير من كتابنا ومثقفينا وإعلاميينا الوطنيين جيدًا ، ويعملون على التوعية به ما وسعهم السبيل ، غير أننا في حاجة إلى تحويل هذه الظواهر الإيجابية إلى حالة وعي عام واستنارة عامة وتوعية شاملة أو قل : تعبئة فكرية عامة، تتوازن وحجم ما يحاك لأوطاننا من مؤامرات لم تعد خفية على لبيب ولا غير لبيب .

❋ ❋ ❋

تفكيك حواضن الإرهاب

مما لا شك فيه أن الإرهاب ما كان ليتسلل إلى أي بيئة أو وطن أو منطقة ما لم يتوفر له عنصران : عنصر يدفعه ويدعمه ويموله ، وآخر يحتضنه ويأويه.

أما العنصر الأول الذي يدفع الإرهاب ويموله ويدعمه ويغذيه فهو بلا أدنى شك أعداء ديننا ووطننا وأمتنا ، ممن يريدون أن تعم الفوضى الهدامة منطقتنا وأمتنا لصالح الكيان الصهيوني من جهة ، لأجل أن يتمكنوا من السيطرة على خيراتنا ومقدراتنا ، ويشوهوا الوجه الحضاري لديننا السمح من جهة أخرى ، وهذا شأنهم وطبيعتهم "الإمبريالية" ، ومع أننا أكدنا وسنظل نؤكد أن الإرهاب لا دين له ولا عهد له ولا وفاء له ، وأنه سيأكل من يصنعه ومن يدعمه ، إن اليوم وإن غدًا ، وإن غدًا لناظره قريب ، فإننا لا يمكن أن نستجدي الأمن ممن يريد لنا الفوضى ، ولكن علينا أن نعتمد على أنفسنا وعلى سواعدنا ، على حد قول الشاعر :

أنا لا ألـوم المستبـد إذا تجـاوز أو تعـدى
فسبيلــه أن يستبـــد وشأننـــا أن نستعـدا

وهذا الاستعداد لا يكون كلاما فحسب ، ولا مجرد شجب وإدانة واستنكار ، وبيانات وتصريحات ، يمكن أن تصدر حتى عن جهات تستر بها ما كان خافيًا أو ما تحاول أن تخفيه من أمرها ، ظنًا منها أن هذه البيانات يمكن أن تغطى ما لو كشف لكان أمرًا جللا ، ناسية أو متناسية أو متجاهلة أن الشعب المصري قد شب عن الطوق وصار أكبر من أن يُخدَع ، وإن اقتضت الظروف التي تمر بها البلاد وتمر بها المنطقة جانبًا من الحكمة وضبط النفس واختيار التوقيتات المناسبة للفعل أو رد الفعل ، فمن قبيل قول أبي فراس الحمداني :

تغابيتُ عنْ قومي فظنوا غباوتي بِمَفْـرِقِ أغْبَانَـا حَصىً وَتُرَابُ

والذي لا شك فيه – أيضًا – أن هذا الإرهاب الأسود بتلك العناصر الخطرة والأخلاط والأمشاج التي أتت

وتجمعت من كل حدب وصوب ما كان لهم أن يخترقوا صفوف أي وطن ما لم تكن لهم فيه حواضن تأويهم وتمدهم بما يحتاجون من المال أو السلاح وسائر ألوان الدعم ، وتوفر لهم البيئة المواتية وتمدهم بالمعلومات الكافية ، في عالم صارت فيه الحروب التقنية ، والإلكترونية ، والمعلوماتية ، والإعلامية ، والنفسية ، أساليب ووسائل وأدوات لا يُستهان بها لإخضاع الخصم ، وإضعاف معنوياته ، ودفعه إلى الإحباط أو التسليم.

وكما أن ما يسمى بالدعم "اللوجستي" أمر في غاية الأهمية في تحقيق النصر على الأعداء وحسم العديد من المعارك ، فإن قطع هذا الدعم عن الإرهاب والإرهابيين ، والتطرف والمتطرفين ، يُعجّل بنهايتهم والقضاء عليهم وتخليص العالم كله والإنسانية جمعاء من شرهم المستطير .

وهذا يتطلب دراسات علمية واعية مستفيضة لمعرفة المستفيدين من الفوضى ومن العمليات الإرهابية ، سواء

أكانوا موجهين ، أم محرضين ، أم منفذين ، أم مأجورين ، والعمل على مواجهتهم بحسم لا هوادة فيه ، بالتحفظ بل مصادرة أموال كل من يثبت دعمه أو تمويله للإرهاب ؛ لأن هذا المال القذر الذي يوجه لتمويل القتل والتخريب ينبغي أن يصادر لصالح البناء والتعمير ، ورب العزة (عز وجل) يقول: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا}[1]، وقد أفرد الفقهاء بابًا للتعامل مع أموال السفهاء سموه " باب الحجر " الذي يعني الحجز والتحفظ ، وقسموه قسمين : " الحجر لحق الغير" أي لصالح الدائنين ، و"الحجر لحق المال" ، وهو الحجر على السفيه والمبذر الذي لا يحسن التصرف في أمواله ويبذرها سفهًا فيما لا ينبغي الإنفاق فيه ، فما بالكم بمن يستخدمها في القتل والتخريب والفساد والإفساد ؟؟

---

(١) النساء : ٥ .

وهناك منظرون لهذا الإرهاب ، يحرض بعضهم عليه صراحة دون مواربة ، ويبث بعضهم سمومهم بين الحين والحين ، ولو في ثنايا كلام معسول ، { وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}(1).

على أننا في وضع لا يحتمل هؤلاء المنافقين والمتلونين ، {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا}(2).

ولا شك أن ترك بعض من يدعمون الإرهاب والإرهابيين طلقاء أو غض أي جهة الطرف عنهم أمر في غاية الخطورة ، وأخطر منه تمكين أي منهم من أي مفصل

(1) آل عمران : ١١٩.

(2) النساء : ١٤١.

من مفاصل الدولة ، وبخاصة الجوانب الخدمية التي تمس حياة المواطنين مباشرة ، لأنهم يدركون أن تعطيل هذه الخدمات هو سبيل لإثارة الغضب والتذمر والسخط وربما الفوضى ، فيجب ألا تُسْنَد إدارة المرافق والأعمال الخدمية إلا لمن يُتَيقّن من ولائه لوطنه وتفانيه في خدمته ، وحرصه عليه ، وإيمانه بقضاء حوائج الناس والسهر على راحتهم ، ويقينه بأن هذا هو صلب الدين والإيمان ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ للهِ عِبَادًا اخْتَصَّهُمْ بِقَضاءِ حَوَائِجِ النَّاس حَبَّبهُمْ فِي الْخَيْرِ وحَبَّبَ الْخَيْرَ إِلَيْهِمْ إِنَّهُمُ الْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ الله (عز وجل) يَوْمَ القِيَامَةِ)[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (اللَّهُمّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمّتِي شَيْئًا فَشَقّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ)[2].

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢ / ٢٣ ، حديث رقم ٨٠٥ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فَضِيلَةِ الإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ ، حديث رقم: ٤٨٢٦ .

وكما ينبغي ألا نمكن داعمي التطرف والموالين لهم من المرافق الخدمية ، فمن باب أولى ألا نمكن أحدًا منهم من الجوانب الثقافية أو الفكرية أو التربوية ، حتى لا يبثوا سمومهم وأفكارهم الإرهابية في المجتمع وبخاصة بين الناشئة والشباب ، إنما يجب أن نعمل وبسرعة وحسم على تخليص المجتمع من سمومهم ، وشرورهم ، وآثامهم ، وجرائمهم الفكرية والأخلاقية والمجتمعية ، يقول سبحانه : {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[1].

* * *

(١) يوسف : ٢١ .

مجرمون وضحايا

كل مجرم لا بد له من ضحية أو ضحايا ، فالإرهاب له ضحايا من الشهداء الأبرار والمصابين العظماء ، ولو عقل الإرهابي الأحمق أو فكر لبعض الوقت أو استخدم عقله في مآل أعماله الإجرامية وما قد تخلفه من خراب ودمار وسفك للدماء لوطنيين أحرار، وقد تكون دماء أطفال ونساء وشيوخ، فتخلف الأرامل والأيتام والمكلومين الأبرياء ، والذين يؤخذون غيلة بدم بارد .

ومن أخطر ألوان الإجرام ما يتصل بتحطيم المجتمع وخاصة الفقراء والكادحين من خلال الغش في الغذاء أو الدواء أو أي سلعة من السلع ، فالفقراء والكادحون في الغالب الأعم هم من يبحثون عن السلع والأدوات الأرخص سعرًا ، فيقعون ضحايا منعدمي الضمير ، فإن كان الغش في الغذاء أو الدواء وأدى إلى الوفاة ، فالغاش قاتل ، فإن كان يعلم أن ما يصنعه أو ينتجه أو يبيعه يمكن أن يؤدي إلى

الوفاة فهو قاتل عمدًا أو شبه عمد على أقل تقدير ، وإن كان لا يعلم أن ذلك يمكن أن يؤدي إلى الوفاة فهو قاتل خطأ ، ويجب تغليظ العقوبة على الغش والغشاشين بما يردعهم ويحمي المجتمع من شرهم .

أما الغش في الإنتاج فهو أولا يوقع صاحبه في سخط الله (عز وجل) ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا)[1]، ويكفي سقوطًا أن يوصم الإنسان بالغش ، ثم إن الغش خيانة للوطن وإساءة إلى صورته وإسهام في إضعافه ، يضاف إلى ذلك أن من يشتري السلعة المغشوشة فإن له حقًّا في عنق من غشه يتقاضاه منه يوم لا درهم ولا دينار ، يقول سبحانه : {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[2]، فما بالكم لو كان مشترى هذه السلعة المغشوشة فقيرًا أو مسكينًا جمع حقها بالكاد من

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب البيوع ، باب مَا جَاءَ في كَرَاهِيَةِ الْغِشِّ في الْبُيُوعِ ، حديث رقم : ١٣٦٣ .

(٢) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩ .

قوته وقوت أبنائه واستبشر وتهلل بمجرد الحصول عليها ، فلا تتم فرحته عندما يفجع بتلفها أو احتراقها ، أو تعطلها وهو غير قادر حتى على مجرد إصلاحها ، لا شك أنه لا يمكن أن يسامح من يغشه ، وأن له مظلمة في عنقه ، والظلم ظلمات ، والمال الناتج عن الغش سحت ووبال على صاحبه في الدنيا والآخرة .

ومن الإجرام أيضًا عدم الوفاء بحق العامل أو الأجير أو الخادم استضعافا له واستحقاقا بشأنه ، ويقابله في الإجرام أيضًا عدم وفاء أي من هؤلاء بحق العمل ، حيث يقول رب العزة (عز وجل) في الحديث القدسي : (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ)[1].

ومن الإجـرام أيضًـا الاعتـداء على المال العام أو على

(١) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب إِثْمِ مَنْ بَاعَ حُرًّا ، حديث رقم: ٢٢٢٧ .

أملاك الدولة أو على مال الوقف الذي هو مال الله وحق للموقوف عليهم سواء من الأشخاص أو المحتاجين أو وجوه الخير ، فهو مال أناس صالحين قصدوا به وجه الله (عز وجل) ومرضاته ، والله كفيل بحفظه وخصم لمن يعتدي عليه ، فهو بمثابة مال اليتيم ، وحيث يقول الحق سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا }(١).

وقد يحتال المجرم على الإفلات من العقاب الدنيوي غير أن عليه أن يدرك أنه إن أفلت من عقاب الخلق فلن يفلت من عقاب الخالق (عز وجل) ، فيكون المال الحرام شرًا مستطيرًا عليه وعلى أبنائه في الدنيا هما وغما ومرضًا وفشلا ونكدًا ، يقول الحق سبحانه : {وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى}(٢)، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ

---

(١) النساء : ١٠.

(٢) طه : ١٢٧.

الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ)[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ رِجَالاً يخوضون فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[2] .

إننا نحتاج إلى يقظة الضمير الديني ، والضمير الوطني ، والضمير الإنساني ، كما نحتاج إلى المتابعة والمراقبة والحسم وتغليظ العقوبات الله (عز وجل) يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وبالتوازي نحتاج إلى التثقيف والتربية ، ونحتاج إلى الإيجابية المجتمعية فلا يرى أحدنا الفساد يضرب إلى جانبه ويقف صامتا لا يحرك ساكنا ، لأن النار لم تشتعل فيه هو ، فتلك سلبية مقيتة ، إنما يجب علينا شرعًا ووطنية ، النصيحة الصادقة فإن لم تؤت النصيحة ثمرتها

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الصلاة ، باب مَا ذُكِرَ في فَضْلِ الصَّلاَةِ ، حديث رقم: ٦١٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب فرض الخمس ، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) ، حديث رقم : ٣١١٨ .

فالتحرك الإيجابي للإبلاغ عن الفساد والتعاون مع سائر الأجهزة الرقابية لدحضه والقضاء عليه ، حماية لأنفسنا ومجتمعنا ووطننا من الفساد والمفسدين والإجرام والمجرمين ، وعلى رأسهم الإرهابيون الذين يسعون لتدمير الوطن وتمزيق أوصاله وتفتيت كيانه ، إما عمالة وخيانة لأعدائه ، وإما لتحقيق مصالحهم على حساب دينهم ووطنهم وأهليهم .

* * *



دولة الإخوان الاقتصادية

إذا كانت جماعة الإخوان الإرهابية قد سقطت سقوطًا ذريعًا مدويًّا سياسيًّا ومجتمعيًّا وأفلست فكريًّا فإن هناك جانبًا هامًّا تستميت قيادات الجماعة وعناصرها في الحفاظ عليه ، وهو البناء الاقتصادي والمالي للجماعة ، وهو ما يمكن أن يطلق عليه دولة الإخوان الاقتصادية ، وهي التي لا تقل خطرًا عن الجانب السياسي ، لأنها هي الرابط الذي يربط أعضاء وعناصر الجماعة الإرهابية برباط نفعي وثيق من خلال شراء أصحاب النفوس الضعيفة ، والتركيز على المهمشين أو المحرومين أو الأكثر احتياجًا وحتى تجاوزهم إلى غيرهم من طالبي وراغبي الثراء بأي وسيلة حتى لو كانت غير مشروعة أو مدمرة ، إضافة إلى خطورة توظيف هذا المال في العمليات الإرهابية .

وقد قامت جماعة الإخوان بعمليات سطو واسعة النطاق على كثير من الجمعيات وتوظيفها لخدمة أغراضها ، مع ما

تتلقاه من أموال تحت مسمى التبرعات وتوظيفها لصالح الجماعة .

ولهم منظومة اقتصادية أشبه ما تكون بالفكر الصهيوني، بحيث إذا تاجر أحدهم في سلعة حيوية ألزم أعضاء الجماعة بالشراء منه ، فأحدهم مثلا في تجارة الحديد والأسمنت ، والآخر في تجارة الأخشاب ، وثالث في الأدوات الصحية ، ورابع في الملابس ، وخامس في الأدوات المكتبية والهدايا ، فهم لا يؤمنون بالتكامل المجتمعي الشامل ، إنما يقسمون المجتمع إلى قسمين ، الأول : وهو الأولى بالرعاية والعناية والاهتمام وهم عناصر الجماعة ، والآخر : عامة الناس ، وهم في نظرهم ما بين فاسق ، أو كافر ، أو منافق أو عميل أو رقيق الإيمان ، أو غير ملتزم ، أو غير تابع لهم أو ناقص الأهلية الشرعية لأنهم يزعمون أنهم جماعة الله المختارة وأنهم الفرقة الناجية وغيرهم في الإحدى وسبعين فرقة الأخرى.

وعلى الجملة فإن غير المنتمين للجماعة في نظرهم وتصنيفهم أناس من الدرجة الثانية، إذ يصنفون كل من لم ينضم للجماعة على أنه إما ناقص الدين أو فاقده ، ويربون عناصرهم على ذلك.

وقد عمدوا إلى مجالات حيوية مثل شركات الصرافة، والخدمات الطبية ، والمدارس الخاصة ، مع إنشاء مجموعة من الشركات باسم بعض قيادات الجماعة لتكون غطاء لتلقي الأموال الخارجية أو استثمارها أو غسل أموال التبرعات ، حيث كانوا يجمعون أموالاً تحت مسمى المساعدات لصالح القدس أو الشيشان أو البوسنة والهرسك أو الصومال، ثم توظف لصالح الجماعة وعناصرها .

ولا يسعني هنا أن أخوض في تفاصيل محددة ، إنما كان يعنيني أن ألفت النظر إلى مخاطر دولة الإخوان الإرهابية الاقتصادية التي صارت تستخدم في تمويل العمليات الإرهابية ودعم العناصر المتطرفة ، مما يتطلب

النظر وبجدية والتعامل بحسم مع هذا المال المشبوه حتى لا يوظف في الإضرار بالمصلحة الوطنية، أو أذى المواطنين أو الإساءة إلى صورة الإسلام والمسلمين ، وعلى الجملة فإن هذا الاقتصاد الموازي أو تلك الدولة الاقتصادية للإخوان تعد خطرًا على الأمن القومي ، بل على أمن وسلام الإنسانية ، لأن تلك الجماعة كالحرباء لا تعرف دينًا ولا وطنية ولا وفاء لأحد ، فصديق اليوم لديها عدوّ الغد ، لا يربطها بأحد سوى ما تحققه من خلاله من مصالح عاجلة ، وإلا فله منها الويل والثبور وعظائم الأمور .

* * *

خطورة الشائعات

الشائعات ليست مجرد كذب ، بل هو كذب متعمد ، وافتراء ممنهج ، يؤكد أن صاحبه لا دين له ولا خلق ، وبث الشائعات أحد وسائل حروب الجيل الرابع والجيل الخامس لتدمير المجتمعات من داخلها ، من حيث التركيز على الإثارة وتشويه الرموز الوطنية والإنجازات الكبرى ، والتهوين من شأنها ، والتركيز على السخرية والتهكم ، والعمل على نشر اليأس والإحباط وخلق الأزمات ، وفق خطط مدروسة وممنهجة وممولة، وعلى شراء الذمم قبل المساحات الإلكترونية قائمة ، حيث لا وازع من دين ولا خلق ولا وطنية ولا إنسانية.

وهنا يجب العمل على محورين :

الأول: محور تحصين شبابنا ومجتمعنا من أن يقع فريسة لهؤلاء ، فعلينا أن نسابق الزمن في كشف طبيعة هذه الجماعات وعناصرها وكتائبها الإلكترونية حتى لا يخدع بهم

الشباب النقي ، وأن نكشف ما تتسم به هذه الجماعات من احتراف الكذب والافتراء على الله (عزّ وجلّ) وعلى الناس ، وأن نعمل على إشاعة قيمة الصدق وضرورة التحري والتثبت من الأخبار ، فليس كل ما يسمع ينقل أو يقال ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا ، أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)[1]، ويقول الحق سبحانه :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}[2]، ويقول (عزّ وجلّ) : {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[3]، فعلى الإنسان أن يتحرى الصدق ، ويتجنب الكذب ، ذلك أن الكذب يعد أهم علامات النفاق ، حيث يقول نبينا (صلى الله

(١) صحيح مسلم ، المقدمة ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ، حديث رقم : ٤ .

(٢) الحجرات : ٦.

(٣) النور : ١٩.

عليه وسلم) : (آية الْمُنَافِقِ ثَلَاثَ ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) [1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا ، إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)[2]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)[3].

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، بَابُ عَلَامَةِ المُنَافِقِ ، حديث رقم :٣٣، وصحيح مسلم ،كتاب الإيمان ، بيان خصال المنافق ، حديث رقم : ٥٩ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، بَابُ عَلَامَةِ المُنَافِقِ ، حديث رقم:٣٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق ، حديث رقم : ٥٨.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأَدَبِ ، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، حديث رقم : ٦٠٩٤ .

أما المحور الثاني : فهو محور الحسم مع الجماعة الإرهابية وعناصرها المفسدة المخربة القاتلة ، سواء أكان ما تمارسه قتلا حسيًّا باستهداف الآمنين والرموز الوطنية من خلال عملياتها الإرهابية التفجيرية التي لا تنقطع ، أم كان القتل معنويًّا من خلال استهداف الرموز والشخصيات الوطنية وبث الشائعات التي لا تنقطع حولها ، والتهوين من إنجازاتها لإحباطها ، والعمل على وضعها موضع السخرية والاستهزاء لتصغيرها والتقليل من شأنها وتجرئة العامة على النيل منها ، أم كان ذلك بالتشكيك في كل الإنجازات الهامة والمشروعات الكبرى لإحباط الناس وإصابتهم باليأس واللامبالاة ، أو تحريكهم تجاه التمرد والعصيان ، ولكن شعب مصر بحضارته العريقة الضاربة في جذور التاريخ لأكثر من سبعة آلاف عام يدرك ما يخطط له الأعداء مستخدمًا جماعة الإخوان الإرهابية وكتائبها الإلكترونية مع ما يُقدم لها من دعم منقطع النظير من مخابرات الدول التي تهدف إلى إسقاط منطقتنا في براثن الفوضى ، مما يتطلب منا جميعًا

اليقظة التامة لهذه المخططات الخبيثة ، والتعامل بحسم مع الخونة والعملاء ، وقطع أي يد تحاول أن تعبث بأمن هذا الوطن وأمانه أو أن تنال من ثوابته الوطنية أو تعمل على هدم بنيانه .

على أن ذلك كله إنما يحتاج إلى تضافر الجهود ووعي شديد بما يخطط ويحاك لوطننا ومنطقتنا من أعدائنا المتربصين في الخارج وعملائهم من الخونة والمأجورين بالداخل ، مع إدراك أن جماعة الإخوان الإرهابية هي رأس الأفعى ومفتاح كل شر والحاضنة الكبرى لكل الجماعات الإرهابية ، وأن القضاء عليها يعني زلزلة أركان الجماعات الإرهابية كافة .

❊ ❊ ❊

مصر الكبيرة حضارة وسياسة

مصر بلد الحضارات ، وملتقى الديانات ، وبلد التسامح ، وبلد السلام، وبلد الثقافات ، وبلد الحوار ، وبلد التلاقي ، وبلد التعايش السلمي بين البشر .

حضارتنا تضرب في أعماق التاريخ لما يزيد على سبعة آلاف عام ، تقف شامخة شاهدة بأهراماتها ، ومتاحفها ، ومعابدها ، وكنائسها ، ومساجدها ، على أنها بلد حضارة وعراقة ، وأنها تمتلك من الآثار الشامخة عبر العصور والقرون ما لا تمتلكه أي دولة أخرى .

إن التراكم الحضاري للثقافة المصرية بكل أبعادها العلمية والمعمارية والفنية والتشكيلية ، والتاريخية قد أبهر العالم كله ، وكان مثار إعجاب العلماء والباحثين ، ومقصد السائحين من كل أرجاء العالم ، أملا في التعرف على أبعاد هذه الحضارة من جهة ، وعملا على الإفادة من معطياتها من جهة أخرى ، بل إن الأمر تجاوز هذا القصد إلى إقامة

متاحف ومعارض ومواقع للآثار المصرية في كثير من دول العالم التي تعرف للتاريخ قدره ، ولمصر مكانتها ، وللآثار قيمتها.

ومصر غنية بسماحتها ووسطيتها وبعدها عن الغلو والشطط والتطرف عبر تاريخها الطويل ، وقد استقت هذه الوسطية من حضارتين عظيمتين ، أولاهما : الحضارة الإسلامية السمحة التي لا تقر التشدد ولا التطرف ولا الغلو ، ولا العنت ، فهي قائمة على الإيمان بالتنوع دون تفرقة على أساس الدين أو الجنس أو العرق أو اللون أو اللغة ، حيث يقول الحق سبحانه : {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[1]، ويقول سبحانه {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[2] ، ويقول سبحانه : {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا

(١) البقرة : ٢٥٦.

(٢) يونس : ٩٩.

يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}[1] ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى)[2].

وهي قائمة أيضا على اليسر ورفع الحرج ؛ حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : {يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}[3]، ويقول سبحانه : {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}[4].

وحيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّيْنُ إلا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا) [5]،

(١) هود : ١١٨.

(٢) مسند أحمد ٣٨ /٤٧٤ ، حديث رقم : ٢٣٤٨٩ .

(٣) البقرة :١٨٤.

(٤) الحج : ٧٧.

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ، حديث رقم: ٣٩.

ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا ، وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا) [1].

والسماحة الأخرى استمدتها من الحضارة المصرية القديمة والحديثة معا ، فالشخصية المصرية لم تعرف عبر عصور تاريخها الممتد والعريق بالغلو أو التشدد أو التجاوز أو الاعتداء على الآخرين .

ومن خلال تفاعل هاتين الحضارتين العظيمتين صارت الحضارة المصرية فريدة في يسرها وسماحتها ، وهي في حالة نقاء وإفراز دائم ونفي مستمر لكل ألوان التشدد والغلو، فهي بطبيعتها وتكوينها لا تقبلهما ولا يمكنها التعايش مع أي منهما ، فهما بالنسبة لها كالجسم الغريب ، أو العضو المزروع قسرًا في جسد لا يمكن أن يتقبله .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا ، حديث رقم : ٦٩ ، وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب الأمر بالتسير وترك التنفير ، رقم : ١٧٣٤ .

ولا يستطيع أحد إنكار الأبعاد العلمية والإنسانية والأخلاقية والروحية لحضارة الإنسان المصري ، فقد صارت مفردات هذه الحضارة تغذي كثيرًا من الروافد العلمية في مجالات متعددة منها : علم الأخلاق ، وعلم الاجتماع ، إضافة إلى الفنون الهندسية ، والمعمارية ، وفنون الكتابة ، والتحنيط ، والفلك ، والثروات المعدنية كمناجم الذهب التي استغلها المصريون القدماء ، وبدت آثارها واضحة فيما عثر ويعثر عليه في مقابرهم وأهراماتهم .

إضافة إلى أن مصر عبر تاريخها العريق غنية بالقيم والأخلاق ، لم يعرف عن أهلها غدر ولا خيانة ، ولا اعتداء ولا عدوان على أحد بدون حق ، بل وقفت بما وسعها من قوة وإمكانات إلى جانب الأشقاء والأصدقاء ، وعرفت طوال تاريخها بحسن الجوار ، وبسماحة أهلها ، وحسن عشرتهم ، ولم تعرف التشدد ولا التطرف ، وما حدث من موجات عنف عابرة أو طارئة هنا أو هناك إنما هي ظواهر شاذة لفظها

المجتمع المصري وبسرعة جارفة بفطرته وطبيعته السمحة النقية.

مصر كبيرة بتاريخها وحضارتها وثقافتها وقادتها وعلمائها ومفكريها ، وستظل بإذن من قال في حقها : {وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}(1)، وببركة من قال عن أهلها : (لِأَنَّهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ وأبناءَهم في رِبَاطٍ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ، وكان سيدنا عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) يقول : إن مصر بلد معافاة ، وأهلها أهل عافية ، وهي آمنة ممن يقصدها بسوء ، من أرادها بسوء كبَّه الله على وجهه .

مصر ظلت عبر تاريخها – ماضيها وحاضرها– أبيَّة وعصيَّة بفضل الله (عز وجل) على الانهزام أو الانكسار ، وهي وفية لأشقائها صغيرهم قبل كبيرهم ، لديها مسئولية تاريخية تتحملها تجاه الجميع ، وأنها على الرغم من تقلب ظروفها وأحوالها الاقتصادية لم يعرفها الناس إلا معطاءة مضيافة ، ألم

---

(1) يوسف : ٩٩ .

يقل سيدنا يوسف (عليه السلام) يوم أن كان على خزائنها لإخوته حين جاءوا من أرض الشام يطلبون الميرة والعطاء : {أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ}(1).

مصر أخ كريم ، وصديق وفي ، يعرفها الناس وقت الشدة، لم ولن تتخلى يومًا عن واجبها القومي أو العروبي أو الإنساني .

ولعل أهم ما يميز واقعها المعاصر هو حرصها الشديد على ممارسة السياسة النظيفة التي لا تعرف المؤامرة على أحد ولا الغدر به ، تراعي وبأمانة حق الجار ، وحق الصديق، وحق الدول الشقيقة والصديقة ، وتتحلى بالحكمة وضبط النفس ، والترفع عن الصغائر والدنايا ، ولا تنجر إلى معارك كلامية ، ولا تنزل إلى ما لا يليق بتاريخها وحضارتها ومكانتها.

وإننا لندرك إدراكًا لا يداخله أي شك أن الغايات الشريفة لا يمكن أن تتحقق إلا بالوسائل الشريفة ، وأن مبدأ

---

(1) يوسف : ٥٩.

الانتهازية ومبدأ الغاية تبرر الوسيلة إنما هو منهج الجماعات الانتهازية والمتاجرة بالقيم .

وإنني لأرى أننا قادرون أن نكون الأنموذج الأمثل في ممارسة السياسة النظيفة ، علمًا بأن ممارسة هذه السياسة لا بد لها من ضريبة تدفع ، والحفاظ على المبادئ والقيم له ثمن كبير لا يقوى عليه إلا الدول الكبيرة ، ولا سيما في اللحظات الصعبة والعصيبة .

وحتى في ثقافتنا الدينية تعلمنا أن الجنة قد حفت بالمكاره وأن النار قد حفت بالشهوات ، والحق سبحانه وتعالى يقول : { أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}(1) ، ويقول سبحانه : {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ

(1) العنكبوت : ٢ ،٣.

آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}[1].

على أن الحفاظ على الثقل الحضاري لمصرنا العزيزة يقتضي أن نعمل ونعمل ، ونكد ونتعب ، لنصل بها إلى المكانة التي تستحقها في مصاف الدول المتقدمة .

* * *

(١) البقرة : ٢١٤.

العلــم النافــع

يقول الحق سبحانه وتعالى : {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}(1)، ويقول سبحانه:{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}(2)، ويقول سبحانه : {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(3)، ويقول سبحانه : {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}(4)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى

---

(١) الزمر : ٩.

(٢) فاطر : ٢٨.

(٣) المجادلة : ١١.

(٤) النحل : ٤٣ .

الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)(١).

ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلاَ يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالاً وَلاَ عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ)(٢).

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب العلم، بَابُ الْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ ، حديث رقم: ٣٦٤١ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، بَابُ مَا جَاءَ مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ ، حديث رقم : ٢٣٢٥ .



ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ ، قَبِلَتْ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ ، وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ ، أَمْسَكَتْ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا مِنْهَا، وَسَقَوْا، وَرَعَوْا ، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ ، لَا تُمْسِكُ مَاءً ، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)[1].

على أن قيمة العلم إنما تشمل التفوق في كل العلوم التي تنفع الناس في شئون دينهم أو شئون دنياهم ، ولذا نرى أن قول الله (عز وجل) : {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[2] ، جاء في معرض الحديث عن العلوم الكونية ،

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، بَابُ بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، حديث رقم : ٢٢٨٢ .

(٢) فاطر : ٢٨.

حيث يقول سبحانه :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ }(1) ، ويقول سبحانه : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }(2).

وقد قالوا التعلم قبل التعبد ، ليكون التعبد على هدى ، وقال الحسن البصري (رحمه الله) : العامل على غير علم كالسّالك على غير طريق ، والعامل على غير علم يفسد أكثر ممّا يصلح ، فاطلبوا العلم طلبا لا تضرّوا بالعبادة ، واطلبوا العبادة طلبا لا تضرّوا بالعلم ، فإنّ قوما طلبوا العبادة وتركوا

(1) فاطر : ٢٧، ٢٨.

(2) آل عمران : ١٩٠، ١٩١.

العلم حتّى خرجوا بأسيافهم على أمّة محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) ، ولو طلبوا العلم لم يدلّهم على ما فعلوا .

فالعلم النافع هو الذي يكون سبيل هدى ورحمة ورشد لصاحبه في أمر دينه ودنياه ، ولذا رأينا سيدنا موسى (عليه السلام) يقول للعبد الصالح : {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا}[1]، وقد قدم النص القرآني صفة الرحمة على صفة العلم حيث يقول الحق سبحانه : {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا}[2]، فالعلم ما لم يكن رحمة لصاحبه وللناس أجمعين فلا خير فيه .

كما أن المراد بالعلم النافع كل ما يحمل نفعًا للناس في شئون دينهم ، وشئون دنياهم ، في العلوم الشرعية أو العربية، أو علم الطب ، أو الصيدلة ، أو الفيزياء ، أو الكيمياء ، أو

(١) الكهف : ٦٦.

(٢) الكهف : ٦٥.

الفلك ، أو الهندسة ، أو الميكانيكا أو الطاقة ، وسائر العلوم والمعارف ، وأرى أن قوله تعالى : {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}(١)، وقوله تعالى : {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}(٢) ، أعم من أن نحصر أيًّا منهما أو نقتصره على علم الشريعة وحده ، فالأمر متسع لكل علم نافع .

ومما لا شك فيه أننا في حاجة إلى جميع العلوم التي نعمر بها دنيانا حاجتنا إلى العلوم التي يستقيم بها أمر ديننا ، ونخلصه بها من أباطيل وضلالات الجماعات الضالة المارقة .

* * *

(١) الزمر : ٩.

(٢) النحل : ٤٣.

العلم الكسبي والعلم الكشفي

عندما نتحدث عن العلم من جهة كونه كسبيًّا وكشفيًّا ، فإننا نؤكد أن العلم المطلق لله وحده ، حيث يقول سبحانه: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}[1]، ويقول سبحانه : {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا }[2]، ويقول سبحانه : {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[3]، ويقول سبحانه : {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ

---

(١) الإسراء : ٨٥.

(٢) الجن : ٢٦ – ٢٨.

(٣) الأنعام : ٥٩.

الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[1].

وفي حق الخلق العلم نوعان : الأول كسبي ، ويتأتى بالجهد والاجتهاد والتحصيل ، وفيه يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ)[2].

والنوع الثاني : هو العلم الفيضي أو الكشفي أو اللدني، حيث يقول سبحانه : {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[3]، ويقول الحق سبحانه في شأن العبد الصالح المعروف بالخضر : { آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا

(١) لقمان : ٣٤.

(٢) سنن أبي داود ، كتاب العلم ، باب الْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ ، حديث رقم : ٣٦٤١ .

(٣) البقرة : ٢٨٢.

عِلْمًا}[1]، ويقول سبحانه في شأن سيدنا سليمان (عليه السلام) : {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ}[2]، ويقول سبحانه في شأن سيدنا يحيى (عليه السلام) : {وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}[3]، ويقول سبحانه في شأن سيدنا إبراهيم (عليه السلام): {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}[4]، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي ، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ)[5].

---

(١) الكهف : ٦٥.

(٢) الأنبياء : ٧٩.

(٣) مريم : ١٢.

(٤) الأنعام : ٨٣.

(٥) صحيح البخاري ،كتاب العلم ، باب مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، حديث رقم : ٧١ .

وكان الصحابة (رضوان الله عليهم) يقولون لنبينا (صلى الله عليه وسلم) نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نعلم ، فمن علمك يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (أدّبني ربي فأحسن تأديبي) ، والمراد بالتأديب هنا التعليم .

ولما جاء وفد بني تميم إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) قالوا : يا محمد جئنا لنفاخرك فأخرج لنا خطيبك وشاعرك ، فلما تحدث خطيب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بزّ خطيبهم وتحدث شاعرهم فأجابه سيدنا حسان بن ثابت فأحسن وأبلغ وأفحم شاعرهم ، فقال القوم : والله إن هذا الرجل لمؤتى له (أي لموفق بمدد رباني) ، لخطيبه أبلغ من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا.(تفسير ابن أبي زمنين).

على أننا نفرق بين العلم الفيضي أو الكشفي الذي يمن الله به على عباده المتقين الصالحين الذين يعملون بما

يتعلمون ، وبين أدعياء الصلاح والتقوى والولاية ، فالعلم الذي لا يبنى على معرفة أصول الشريعة وفروعها ، وعلى الفهم الثاقب المستنير لدين الله (عز وجل) فهو علم الدخلاء والأدعياء الذي لا يعتد به ولو طار صاحبه في الهواء أو مشي على الماء .

ومن العلم الكشفي ما من الله به (عز وجل) على العبد الصالح الذي ذكر العلماء أنه الخضر (عليه السلام) على نحو ما قصه علينا القرآن الكريم في سورة الكهف عندما طلب منه موسى أن يأذن له باتباعه لينهل من علمه ، وكان ما كان من الحوار بينهما يقول الله تعالى : {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا}[1]، وحتى كان ما كان من قتل العبد الصالح للغلام وإقامته للجدار ، وانتهى الأمر ليقول العبد الصالح لموسى (عليه السلام) : { قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ

---

(١) الكهف : ٧١.

مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا}[1].

ولا شك أن ما ذكره الخضر لموسى (عليه السلام) ليس مما يتعلم من بطون الكتب إنما هو من العلم الفيضي أو الكشفي أو اللدني الذي يمن الله (عز وجل) به على من يشاء من عباده الصالحين غير الأدعياء أو الدجالين ، فالعالم الحقيقي غير دعيّ ، والدعيّ غير وليّ .

* * *

(١) الكهف : ٧٨-٨٢ .

منهجية البحث العلمي

البحث يعني التنقيب ، يقال بحث الأرض إذا حفرها، وبحث الشيء إذا فتش عنه ونقب ، وبحث الأمر إذا اجتهد فيه وتعرف حقيقته ، وبحث عن الأمر إذا سأل عنه واستقصى، والبحث العلمي لا يكاد يخرج عن هذه المعاني، فهو بذل الجهد في عمل موضوعي جاد بغية الوصول إلى حقيقة معينة ، أو تجلية قضية ، أو حسم الأمر في مشكلة من مشكلات المعرفة الإنسانية ، يقول الحق سبحانه : {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ}[1]، أي ينقب فيها ، وهي عملية شاقة تتطلب جهدًا وفكرًا ، فلا الجهد العشوائي وحده يكفي ، ولا البحث عملية يسيرة لا تتطلب جهدًا .

ثم إن نسبة البحث إلى العلم تقتضي أن تكون الوسيلة علمية والغاية علمية ، وأدوات البحث علمية ، وتسويقه علميًّا،

(1) المائدة : ٣١ .

ولا يكون الاعتماد في أي من مقتضياته قائمًا على العفوية أو الفهلوة ، فرأي العوام وخداعهم لا يعتد به في قضايا البحث العلمي الدقيق المتخصص ، إنما يعتد فيه برأي أهل العلم من ذوي الخبرة والدربة في مجال الاختصاص ، وبقدر نفع البحث للإنسانية تأتي قيمته العلمية ، ومن ثمة فإن اختيار موضوع البحث يعد أهم نقطة انطلاق فيه ، حتى قال بعضهم : إن اختيار الموضوع نصف البحث ، وبالغ بعضهم فقال: هو البحث كله ، يعني أن قيمة البحث تأتي من أهمية موضوعه وجديته وأصالته ، وهو أساس الإبداع والابتكار والتميز والتفرد فيه .

ولذا فإن على كل باحث أن يسأل نفسه : ما الذي يضيفه موضوع بحثه في بابه ؟ وما الذي يضيفه في مجاله ؟ وما الذي يضيفه لنفع الإنسانية ؟.

ولا شك أن هذا كله من أهم الاعتبارات والمقاييس في مجال التقييم الدولي للبحوث .

ثم تأتي كلمة منهجية لتحدد منهج البحث ، وتحول بينه وبين عشوائية الدراسة أو تخبطها .

وإذا كانت هذه المنهجية مطلوبةً على مستوى البحوث الفردية فإنها في عصرنا الحاضر أكثر طلبًا وإلحاحًا على مستوى الأقسام والوحدات البحثية ، وعلى مستوى الكليات والجامعات ، بحيث تضع كل جامعة خطة بحثية تراعي فيها خدمة المجتمع والوطن والإنسانية ، وتحدد بدقة أهداف خطتها البحثية في كل علم أو فن أو تخصص ، وتطرح ذلك للنقاش العلمي الواسع في منتدياتها العلمية ومجالاتها المتخصصة ، بل إنني لأذهب أبعد من ذلك فأقول : ونطرحها للمجتمع عبر مناقشات جادة من خلال الوسائل التي تراها مناسبة لطرحها عليه لتفيد من يحمل خبرات أبنائه وتعليقاته على الخطة ، فلربما أفادت رأيًا من هنا ورأيًا من هناك يسهم في إضافة أو تعديل مسار ، وعلى أقل تقدير ليطمئن الرأي العام الرشيد من أن مؤسساته تملك خططًا

علمية وبحثية مقنعة ، وربما يستثنى من ذلك كله الأبحاث ذات الطبيعة الخاصة التي تتصل اتصالا وثيقًا بالأمن القومي للبلاد أو تتطلب السرية لما يرتبط بإخراجها من حقوق الملكية الفكرية ونحو ذلك ، ولا أعني بطرح الخطة للنقاش طرح تفاصيلها الدقيقة وأبعادها الفنية ، إنما أعني طرح الرؤية العامة ، مع التأكيد على الاستفادة بنتائج البحوث الجادة سواء في المجال التطبيقي أم في مجال العلوم الشرعية والإنسانية بطباعة هذه البحوث ونشرها على نطاق واسع أو نشر ملخصات لها على أقل تقدير ، حتى لا يظل معظمها حبيس الأدراج والمخازن دون أن يفيد منه المجتمع.

* * *

جـــهاد العلمـاء

لعل واجب الوقت وفريضته للعلماء في هذا الوقت هو تصحيح المفاهيم الخاطئة ، مع تصحيح الصورة الذهنية عن الإسلام والمسلمين ، والعمل على نشر الفكر الإسلامي الصحيح ، والقيام بواجبهم في تقديم حلول ورؤى واجتهادات عصرية تتسق وروح العصر ومستجداته في ضوء الحفاظ على الثوابت ، والتفرقة الواضحة الصريحة بين الثابت المقدس والفكر البشري المكتوب حول النص المقدس ، سواء أكان هذا الفكر البشري متعلقًا بفهم بعض نصوص القرآن الكريم أو بعض نصوص السنة النبوية المشرفة المطهرة ، أم كان آراء واجتهادات واستنباطات فقهية أو فكرية .

وإن نفي تحريف الغالين والمتنطعين ، وبيان وضع الوضاعين وانتحال المبطلين ، وتصويب خطأ المخطئين وتأويل الجاهلين ، وتفنيد ضلالات المضلين والإرهابيين

والمتطرفين والمتشددين ، من أولى أولويات وواجبات الوقت ، بقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (يَحْمِل هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُل خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَال الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيل الْجَاهِلِينَ)(١).

ويلحق بذلك أيضًا التنبيه إلى خطر الشائعات ، فقد دأبت عناصر وكتائب الجماعات الإرهابية على بث الشائعات ونشرها وتشويه الإنجازات والرموز الوطنية والعمل على التهوين من شأنها، معتمدين عنصر الفكاهة والسخرية كوسيلة لترويج شائعاتهم الخبيثة ، كما أن بعض الناس قد ينقلون هذه الشائعات أو بعضها نشرًا أو مشاركة أو إعجابًا أو ترديدًا على سبيل النكتة أو الطرفة ونحوهما دون أن يدروا أنهم بذلك يسهمون في ترويج الشائعة التي هي كذب وافتراء وزور وبهتان من جهة ، وغمز وهمز ولمز وتهكم وسخرية من

---

(١) سنن البيهقي ، كتاب الشهادات ، باب الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ يُسْأَلُ عَنِ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ فَيَقُولُ : كُفُّوا عَنْ حَدِيثِهِ ، لِأَنَّهُ يَغْلَطُ أَوْ يُحَدِّثُ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ ، أَوْ أَنَّهُ لَا يُبْصِرُ الْفُتْيَا ، حديث رقم : ٢٠٩١١ .

جهة أخرى ، فهي تجمع الإثم والشر من وجوه عديدة ، حيث يقول الحق سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[1].

وهنا يأتي دور العلماء والمفكرين والمثقفين في تفنيد هذه الشائعات وكشف زيفها ، وبيان خطرها ، وكشف الأغراض الخبيثة لمروجيها ، كما أن على كل متدين يتقي الله في دينه وكل وطني شريف يتقي الله في وطنه ألا ينساق خلف هذه الجماعات الإرهابية العميلة المأجورة ، ومواجهة هذه الشائعات بالحقائق ما وسعهم ذلك .

فالخطر كل الخطر أن نقف موقف المتفرج أو المتردد، بل يجب أن نكون في سباق مع الزمن لمحاصرة هذه الكتائب الإلكترونية والعناصر الإرهابية على كل المستويات :

---

(١) الحجرات : ١١.

الدينية ، والثقافية ، والإعلامية ، بكشف زيفها وزيغها وضلالها وإضلالها ، وفسادها وإفسادها ، وخيانتها وعمالتها ، وخطرها على المجتمع بأثره ، وعلى كيان وبنيان الدولة الوطنية التي نسعى جميعًا إلى ترسيخ قواعدها واستقرار دعائمها ، وإلى نهضتها ورقيها ، مع التأكيد الدائم أن هؤلاء المجرمين لا علاقة لهم بالإسلام ، ولا علاقة للإسلام بهم ، فهو منهم ومن أفعالهم براء ، بل إنهم ليمثلون عبئًا ثقيلاً على الإسلام والمسلمين ، وإنهم ليشوهون الوجه الحضاري لديننا الإسلامي السمح .

ولو أن أعداء الإسلام استنفدوا كل طاقاتهم وأخرجوا كل ما في جعابهم لينالوا من الإسلام وأهله ما نالوا معشار ما أحدثه هؤلاء الإرهابيون من صدع في بناء الحضارة الإسلامية الراسخة ، وما أحدثوه من تشويه وخدوش وكدوح في وجهها النقي الصافي.

* * *



تواضـــع العلمـــاء

التواضع خلق حميد ، والكبر خلق ذميم ، حتى سئل بعضهم عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة ، فقال : الكبر ، وَرَأَى سيدنا عبد الله ابْنُ عُمَرَ (رضي الله عنهما) رَجُلًا يَخْطِرُ فِي مِشْيَتِهِ ، فقال : (إن للشياطين إخوانًا وكررها مرتين أو ثلاثًا) (تفسير ابن كثير) ، ويقول الحق سبحانه : {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا }[1]، وعن أبي هُريرة (رضي الله عنه) أَنَّ رسولَ اللَّه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّه) [2]، وعَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الخُزَاعِيِّ (رضي الله عنه)، عَنِ

---

(١) الإسراء : ٣٧.

(٢) صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة ، باب اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ، حديث رقم : ٢٥٨٨ .

النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَال: (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ. أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ)(١)، وقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من الكبر فقال : (لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ)(٢).

والتواضع صفة من الصفات المحمودة ، وسبيل إلى نيل رضا الله (عز وجل) ، وقد مدح الله تعالى عباده المتواضعين فقال تعالى:{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}(٣)، وقال (صلى الله

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ ، حديث رقم : ٢٨٥٣ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ ، حديث رقم :٩١.

(٣) الفرقان : ٦٣.



عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلىَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)[1].

وكان سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يقول: وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع ، وكانت السيدة عائشة (رضي الله عنها) تقول : تغفلون عن أفضل العبادة : التواضع ، وسئل الفضيل بن عياض (رحمه الله) عن التواضع فقال : أن تخضع للحق وتنقاد له ، ولو سمعته من صبي قبلته منه ، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه ، وقال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : (مَنْ تواضع لله تَخَشُّعًا ، رَفَعَهُ الله يوم القيامة ، ومن تَطاوَل تَعَظُّمًا ، وَضَعَهُ الله يوم القيامة) ، وكان عروة بن الورد يقول : التواضع أحد مصايد الشرف ، وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ ، حديث رقم : ٢٨٦٥ .

وإذا كان التواضع محمودًا من جميع الخلق فإنه من أهل العلم والشرف والجاه أحمد وأعظم ، على أن أهل العلم يدركون أن العلم نعمة ومنة وفضل من الله سبحانه ، حيث يقول سبحانه : {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}(١) ، وأن العلم لا يستقيم مع الكبر ، ولا يؤتى مع المعصية ، إنما يزداد بالتقوى ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(٢)، وقد قالوا : من عمل بما علم علمه الله علم ما لم يكن يعلم ، فالعمل شرط لتحقق العلم الرباني اللَّدُنِّي ، حيث يقول الحق سبحانه في شأن العبد الصالح في سورة الكهف : {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا}(٣)، ويقول

(١) البقرة : ٢٦٩.

(٢) البقرة : ٢٨٢.

(٣) الكهف : ٦٥ .



سبحانه : {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا}[1]، ويقول سبحانه في حق سيدنا يحيى (عليه السلام) : {يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا}[2]، ويقـول سبحـانه : {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}[3]، ويقول سبحانه على لسان الملائكة : {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا}[4] .

والعالم للسائل والمستفتي كالطبيب للمريض لا بد أن يحنو عليه ، وأن يأخذ بيده إلى سبيل الرشاد ، وهذا الإمام الشافعي يضرب لنا الأنموذج في الحكمة والتواضع ، فيقول: رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب ، ويقول :

---

(١) الأنبياء : ٧٩ .

(٢) مريم : ١٢، ١٣ .

(٣) الإسراء : ٨٥ .

(٤) البقرة : ٣٢ .

أُحِبُّ الصالِحينَ وَلَستُ مِنهُم
لَعَلّي أَن أَنالَ بِهِم شَفاعَه
وَأَكرَهُ مَن تِجارَتُهُ المَعاصي
وَلَو كُنّا سَواءً في البِضاعَه

*   *   *

زمن العلماء الكبار

يقول المتنبي :

إذا كـــانت النفــوس كبـــارًا
تعبــت في مرادهـــا الأجســـام

ويقول :

عَلى قَـدْرِ أهْلِ العَزْم تأتي العَزائِم
وَتأتي علَى قَدْرِ الكِـــرامِ المَكارمُ
وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغـارُهـــا
وَتَصْغُرُ في عَين العَظيـمِ العَظـائِـــمُ

ويقول أبو فراس الحمداني :

وَنَـحْنُ أُنَـاسٌ ، لا تَوَسُّــطَ عِنْدَنـا
لَنَا الصّدرُ ، دُونَ العالَمينَ ، أو القَبرُ
تَهُـونُ عَلَيْنَـا في المَعَـالي نُفُوسُنَـا
ومنْ خـطبَ الحسناءَ لمْ يغلها المهرُ

ويقول الشافعي (رحمه الله) :

أأبيــت سهران الدجى وتبيته
نومـــا وتبغي بعد ذاك لحاقي

ويقول (رحمه الله):

سَأَضْرِبُ في طُولِ الْبِلاَدِ وَعَرْضِهَا
أنــــال مرادي أو أموت غريبًا

ويقول أبو القاسم الشابي :

وَمَنْ لا يُحِبّ صُعُودَ الجِبَالِ
يَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفَر

وقد عرف تاريخنا العلمي عددًا من العلماء الذين رحلوا في طلب العلم واجتهدوا في تحصيله حتى تبوأوا مكان الصدارة ، وصاروا أعلامًا في الفنون والعلوم التي تصدروا فيها ، ورأينا مؤلفين عرفوا بمؤلفاتهم في مجال الفقه وأصوله ، ومؤلفات كتب لها القبول ، على شاكلة كتابي : الرسالة والأم للإمام الشافعي المتوفى ٢٠٤هـ -٨٢٠م اللذين

يفرضان نفسيهما في مجال الفقه وأصوله ، وعلى شاكلة فتح الباري لابن حجر الذي يفرض نفسه على شروح البخاري حتى قيل لا هجرة بعد الفتح ، ونرى كتابي الإتقان في علوم القرآن للسيوطي المتوفى ٩١١هـ - ١٥٠٥م ومناهل العرفان للزرقاني المتوفى ١١٢٢هـ - ١٧١٠م يفرضان نفسيهما في مجال علوم القرآن ، ناهيك عن موافقات الشاطبي المتوفى٧٩٠هـ- ١٣٨٨م ، وتاريخ ابن خلدون المتوفى ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦م ومقدمته ، وتاريخ كل من: الطبري المتوفى ٣١٠هـ - ٩٢٣م ، وابن الأثير المتوفى ٦٣٠هـ - ١٢٣٣م ، وابن عساكر المتوفى ١١٧٦م ، وتاريخ بغداد ، وسير أعلام النبلاء للذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ - ١٣٤٨م وحلية الأولياء لأبي نعيم المتوفى ٢١٩هـ ، وغير ذلك من المصادر والكتب التي صارت ملء السمع والبصر، ولا يمكن تجاوز أي منها في بابه وفنه .

وفي المجـالات العلميـة عرف تاريخنـا العلـمي علماء

عظماء من أمثال : ابن النفيس المتوفى ٦٨٧هـ - ١٢٨٨م ، وابن سينا المتوفى ٤٢٧هـ - ١٠٣٧م ، وابن الهيثم المتوفى ٤٣٠هـ-١٠٤٠م ، وأبو بكر الرازي المتوفى ٣١١هـ - ٩٢٣م ، وابن البيطار المتوفى ٦٤٦هـ - ١٢٤٨م وغيرهم .

وفي المجالات الفلسفية والفكرية عرف تاريخنا علماء ومفكرين كبار أمثال : الفارابي المتوفى ٣٣٩هـ -٩٥٠م ، والكندي المتوفي ٢٥٦ هـ-٨٧٣م ، وابن رشد المتوفى ٥٩٥ هـ -١١٩٨م ، وابن حزم المتوفى ٤٥٦ هـ - ١٠٦٤م ، وأبو حامد الغزالي المتوفى ٥٠٥ هـ - ١١١١م ، وفخر الدين الرازي المتوفى ٦٠٦هـ - ١٢٠٩م وغيرهم .

ثم فترت الهمم بعض الشيء إلا ما رحم ربي ، فضعفت قوة الدأب ، وصار الناس إلى العجلة في معظم الأمور ، وغابت الدقة والأناة ، والتريث والصبر على عملية البحث والدرس والتنقيب ، وصار أكثر الناس إلى مجالات التحقيق والشروح والحواشي التي لا تقارن بما أبدعه وأنتجه العلماء

الكبار في مجال التأليف على الرغم من صعوبات النشر آنذاك ، حتى صار أكثر المحدثين عالة على المتقدمين ، وخفتت روح الإبداع والابتكار في كثير من المجالات المتصلة بالتراث أو حتى بالمعاصرة ، فكان ما كان من نصيب أمتنا في مجالي التعليم والبحث العلمي ، ولم نعد أبدًا في رفاهية من الوقت ، بل صارت عملية البحث والإبداع والابتكار واجب الوقت، لعلنا نلحق بالركب أو ندرك بعض ما فاتنا من طريق المسير على أقل تقدير ، إن لم يكن لدينا طموح الإبداع والسبق ، فهل نعود إلى زمن الكبار ، ويكون شعارنا فيه :

نَبْنِـي كَمَـا كَانَتْ أَوَائِلُنَـا
تَبْنِـي وَنَفْعَـلُ مِثْلَمَـا فَعَلُـوا

وعلى حد قول الآخر :

ليس الفتى من يقول كان أبي
ولكـن الفتى من قال ها أنا ذا

وقد قالوا : إن تقصير الولد الخامل عن رتبة الوالد النابه ذم له ، إنما يمتدح بالبناء على ما كان والإضافة إليه ، وليس الاتكال عليه ، وهذا عامر بن الطفيل يقول :

إني وإنْ كنتُ ابــنَ سَيّـــدِ عَامِرٍ
وفارِسَهَا المَنْدوبَ في كلّ مَوكِبِ
فمـا سودتني عامـــر عن وراثة
أبـــى الله أن أسمـــو بأم ولا أب

* * *

بين العلم والثقافة

العلاقة بين العلم والثقافة هي علاقة عموم وخصوص مطلق ، فكل علم ثقافة ، وليست كل ثقافة علمًا ، أما العلاقة بين العالم والمثقف فهي علاقة عموم وخصوص وجهي ، يلتقيان في العالم المثقف ، وينفرد العالم بمن تخصص في علم وانقطع له ولم يأخذ نفسه بالقدر الثقافي الكافي ، وينفرد المثقف بمن أخذ من كل فن بطرف ولم يتخصص أو يتبحر في علم من العلوم ، ومع أننا في حاجة إلي العالم وإلي المثقف معًا ؛ فإن النمط الأمثل الذي به تتقدم الأمم وترقي الشعوب إنما هو نمط العالم المثقف الذي يتخصص ويتبحر في علم ما ، يسبر أغواره ، ويجمع أطرافه ، ويغوص في أعماقه، ويبدع فيه ، ويأخذ مع ذلك من كل فن بطرف ، ويكون على درجة من الوعي والإدراك بقضايا وطنه ، وتحديات عصره ، وظروف عالمه ، ملمًا من كل فن طرف ، آخذًا منه بنصيب ، وقد كتبت يومًا ما في أستاذنا الأديب

الكبير والشاعر الأريب الأستاذ الدكتور / إبراهيم علي أبو الخشب ، الذي لم يأخذ حظه من الشهرة والمجد مع ما كان عليه من واسع الأدب والمعرفة والثقافة.

مَـــنْ للبـــلاغـــة والأدب
إلا الأديـــب أبـــو الخشـــب
فـــي كـــل فـــن عنـــدنـــا
مفـــض بسهـــم أو سبـــب

وهو الذي أخَذَنا منذ أن كنا طلابًا بالمرحلة الجامعية إلى عالم الثقافة وفضائها الرحب ، فكان يصول ويجول بنا هنا وهناك شعرًا ونثرًا وحكمًة وملحًا وتاريخًا وطُرفًا ، ويُحَلِّق في كل ذلك عاليًا بلا آفاق أو حدود ، مع حفاظه علي زيه الأزهري الذي لم يفارقه حتي لقى ربه ، وخلّف ديوانَ شعرٍ رائعٍ لم يطبع بعد ، لكن أحد الباحثين تناوله أديبًا في رسالة ماجستير بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر التي أشرف بالانتماء إليها والانتساب لها ، وكان لي شرف مناقشة هذه الرسالة عن هذا الأديب الكبير .

والعلماء المثقفون وإن كانوا عملة نادرة فهم أمل الأمم وصمام أمانها الفكري ، وقائدو نهضتها الفكرية والثقافية .

علي أن هذا الأمر لا يأتي صدفة وإن كان هناك فلتات ونوابغ في كل أمة وفي كل عصر وفي كل مجتمع .

غير أننا إذا أردنا أن نُخرج جيلًا يجمع بين العلم والثقافة فلا بد أن نقدر للأمر قدره ونعد له عدته ، ونبني مناهجنا الدراسية والعلمية عليه ، ونخلِّص أبناءنا من العزلة الفكرية، ونخرج من دائرة الحفظ والتلقين والتقليد الأعمى إلى دوائر الفهم والتفكير والإبداع والابتكار في كل المجالات ، وأن يكون بناء الشخصية السوية الواعية المثقفة المبدعة هدفًا رئيسًا في كل مجالاتنا التعليمية والتربوية ، وفي خطابنا الديني والثقافي والإعلامي، وأن تكون لدينا مقاييس لسلوك طلابنا لا تقل عن مقاييس تحصيلهم للعلوم والمعارف ، وأن يكون للمكون الثقافي مكانه المعتبر في العملية التعليمية ، وألاّ ننظر إلى الأنشطة المجتمعية

والأنشطة اللاصفية في العملية التعليمية على أنها مضيعة للوقت أو أنها من نافلة القول ، بل يجب أن ننظر إليها على أنها من صُلب العملية التعليمية ، وأن نعطيها وزنًا نسبيًا وحوافز مشجعة .

على أن دور المثقف الحقيقي في تشخيص الداء والعمل على تخليص المجتمع منه أشبه بدور الطبيب والجراح الماهر الذي يحدد مكان الداء أو الورم ويستأصله بدقة وحنكة بالغة ، ونحن أحوج ما نكون إلى مشرط العالم المثقف في معالجة كثير من قضايانا العلمية والفكرية والثقافية ، فحاجتنا إلى المثقف الماهر لا تقل عن حاجتنا إلى الطبيب الماهر ، فهذا يصحح الأبدان وذاك يصحح الأفهام .

مع تأكيدنا على أن العلاقة بين العلم والثقافة علاقة تكاملية ، وعلينا أن نعمل جادين على كسر التقابل الخاطئ في أذهان بعض الناس بين الدين والثقافة ، فالأمر على

العكس من هذا التقابل الخاطئ ، إذ ينبغي أن يكـون العـالم أو الفقيه أو الخطيب على قدر كبير من الثقافة المتنوعة ، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، مع ضرورة مراعاة مقتضى الحال والمقام الذي يعد ركنًا أصيلا من أركان البلاغة والبيان ، مما يتطلب أن يكون العالم شديد الاتصال بمحيطه ومجتمعه وبما يموج به العالم من أحداث وتحديات، ملما بواقعه غير منعزل ولا منفصل عنه .

وقد عانينا لفترات طويلة من ضيق الأفق الثقافي أو محدوديته لدى كثيرين ، وربما انسداده أو انغلاقه في بعض الأحايين ، وقد صارت أحادية البعد الثقافي ظاهرة تستحق المناقشة ، حيث يركز الباحث أو الدارس على علم أو فن بعينه يستغرقه فكريًّا أو أكاديميًّا ، ينحصر فيه دون سواه ، مما يخرج لنا جيلاً ربما نجد فيه عالمًا غير مثقف ، أو غير قادر على العمل بروح الفريق أو التواصل المرن مع أطياف مجتمعه ، لعدم إلمامه بأدوات العصر واتجاهاته الثقافية

والمعرفية ، وربما ينحرف بالمتحدث أو الكاتب إلى معالجة خاطئة لبعض القضايا ، أو ينجرف به إلى الصدام مع المتلقي مشاهدًا كان أو سامعًا أو قارئًا ، مما يتطلب منا بذل مزيد من الجهود في إحداث عملية التوازن المعرفي بين العلم والثقافة .

* * *

أمانـــة الكلمـــة

الكلمة أمانة ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وأسرارهم ، وكان محل ثقتهم.

الحديث أمانة ، والسر أمانة ، والمستشار مؤتمن ، وشر الناس وأبعدهم منزلة من سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله (عز وجل) لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار بُعْدَ الثريا ، فالكلمة قد تكون فتنة ، والفتنة أشد من القتل ، وقد مرَّ نبينا (صلى الله عليه وسلم) على قبرين فقال : (إنهما ليعذبان) "أي صاحبيهما" ، (وما يعذبان في كبير) "أي لا يعذبان في أمر يعده الناس كبيرًا غير أنه كبير عند الله (عز وجل)" (أما أحدهما فكان يمشي بين الناس بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول) .

وحفظ اللسان واجب ، فعن سيدنا معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: كنت رديف رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

فقال لي: " أَلَا أَدُلُّكَ على رَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟" قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ "، ثُمَّ قَالَ : "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ " قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ : (اُكْفُف عَلَيْكَ هَذَا)، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ قَالَ : (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟)(1) ، ويقول الشافعي (رحمه الله):

اِحفَظ لِسانَكَ أَيُّها الإِنسانُ
لا يَلدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعبانُ
كَم في المَقابِرِ مِن قَتيلِ لِسانِهِ
كانَت تَهابُ لِقاءَهُ الأَقرانُ

ونحن مأمورون بأن نقول الخير أو نصمت ، حيث يقول

(1) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الْإِيمَانِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ ، حديث رقم : ٢٦١٦ .



نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)(١)، والصمت أمر ليس سهلا ، بل إنه ليحتاج إلى دربة ورياضة ، وقد قالوا خلق الله للإنسان لسانا واحدًا وأذنين ، فليحرص على أن يسمع أكثر مما يتكلم ، وإذا تحدث فليقل خيرًا وصدقًا ، لأنه إن تحدث فكذب أصابته خصلة من خصال المنافقين فَعُدَّ منهم، وإن أفشى سرًّا ائتمنه عليه الناس كان خائنًا للأمانة فضم لنفسه صفة أخرى من صفات المنافقين ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) (٢)، وليست الأمانة أو الخيانة في المال فقط ، بل هي أعم وأشمل، وربما انضم إلى

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ، حديث رقم : ٦٠١٨ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ، حديث رقم : ٤٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب عَلاَمَةِ المُنَافِقِ ، حديث رقم :٣٣، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق ، حديث رقم :٥٩.

الكذب والخيانة خلف الوعد حين يفشي الإنسان سرًّا وَعَدَ بعدم إفشائه فيستجمع خلال النفاق كلها.

وليس الإنسان مطالبًا بألا يكذب فقط ، بل عليه أن يتحقق ويتثبت ويتحرى الصدق (وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا)(١)، أما أن يطير خلف كل زاعق وناعق ، فجزاؤه حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)(٢)، وقد أمرنا رب العزة (سبحانه وتعالى) بالتحقق والتبين فقال سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}(٣).

ومن أمانة الكلمة ألا يتحدث الإنسان أو يفتي فيما ليس

---

(١) صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَدَبِ ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، حديث رقم : ٦٠٩٤ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب فِي التَّشْدِيدِ فِي الْكَذِبِ ، حديث رقم : ٤٩٩٤ .

(٣) الحجرات : ٦ .

له به علم ، ففي الحديث : (أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الْفُتْيَا، أَجْرَؤُكُمْ عَلَى النَّارِ)[1]، فمن أفتى من أهل العلم فاجتهد فأخطأ فله أجر اجتهاده ، وإن اجتهد فأصاب فله أجران : أجر لاجتهاده وأجر لإصابته ، أما غير العالم وغير المتخصص فإنه إن أفتى فأصاب فعليه وزر ، وهو وزر التجرؤ على الفتوى ، وإن اجتهد فأخطأ فعليه وزران ، وزر الخطأ ووزر التجرؤ على الفتوى ، ولا يشفع له التعقيب بعبارة "والله أعلم" ، فهذا ما يعقّب به العالم بعد اجتهاده لا الجاهل تغطية لحمقه وجهله.

وأمانة الكلمة ليس قصرًا على المجال الديني ، بل هي أعم ، فهي أمانة في المجال السياسي ، والمجال الاقتصادي ، والمجال القانوني ، والمجال العلمي ، وسائر المجالات والتخصصات ، حتى في الحرف والأعمال والصناعات ، يقول الحق سبحانه وتعالى : {فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا}[2]، ويقول سبحانه : {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا

(١) سنن الدارمي ، باب الفتيا وما فيه من الشدة ، حديث رقم : ١٥٩.

(٢) الفرقان : ٥٩ .

تَعْلَمُونَ}[1]، وأهل الذكر ليسوا أهل العلم فحسب ، بل هم أهل الخبرة في سائر المجالات والميادين.

فما بالكم إذا كان الكذب ممنهجًا ومتعمدًا على نحو ما يحدث في بث الشائعات التي تبثها الجماعات الإرهابية والمتطرفة ليل نهار دون وازع من دين أو قيم أو أخلاق أو حتى ضمير إنساني حيّ ، والكذب هو الكذب منطوقًا أو مقروءًا أو مشيّرًا عبر مواقع التواصل ، وقد قالوا :

وما من كاتب إلا سيفنى
ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء
يسرك يوم القيامة أن تراه

* * *

(١) النحل : ٤٣ .



من التقليد إلى التجديد

غلبت لعقود طويلة وربما لقرون عديدة قضايا التقليد على قضايا الإبداع والتجديد ، وغلبت مناهج الحفظ والتلقين ، وطغت على مناهج الفهم والتفكير ، مما نتج عنه تقديس أو ما يشبه التقديس لغير المقدس من الآراء والأفكار والشروح وبعض الآراء المتعلقة بالأحكام الجزئية والفتاوى القابلة للتغير بتغير الزمان أو المكان أو أحوال الناس وأعرافهم وعاداتهم وواقع حياتهم مما لم يرد فيه نص قاطع ثبوتًا ودلالة ، فما كان راجحا في عصر معين أو بيئة معينة أو حالة أو أحوال معينة قد يصبح مرجوحا إذا تغير من ظروف العصر أو المكان أو الحال ما يستدعي إعادة النظر في الحكم أو الفتوى ، وقد يصبح الرأي المفتى به غيره أولى منه في الإفتاء به نتيجة لتغير هذه المعطيات .

وقد أدى الاعتماد على حفظ بعض الأحكام الفقهية الجزئية مع ضعف الاهتمام بالقواعد الكلية ، وفقه

المقاصد ، وفقه الأولويات ، وأصول الاستنباط إلى حالة من التعصب الشديد لدى بعض المقلدين من جهة، وضيق الأفق والجمود والتحجر عند الرأي المحفوظ لدى بعضهم من جهة أخرى ، لذا يجب أن نعود وبقوة إلى ما يرسخ مناهج الفهم والتفكير وإعمال العقل من خلال دراسة علم أصول الفقه ، وقواعد الفقه الكلية ، وفقه المقاصد ، وفقه الأولويات ، وفقه الواقع ، مؤكدين أن الأحكام الفقهية الجزئية المستنبطة من خلال اجتهاد المجتهدين في قراءة النصوص في ضوء القواعد الكلية والأصولية وفهم مقاصد النصوص ومراميها ليست قرآنا ، وأن بعضها قابل للتغيير وفق مقتضيات الزمان والمكان والأحوال ، وقابل للرأي والرأي الآخر ، فالأقوال الراجحة ليست معصومة ، والأقوال المرجوحة ليست مهدومة ، طالما أن القائل بها من أهل الاختصاص والاجتهاد والنظر في ضوء الدليل الشرعي المعتبر ، والمقاصد العامة للشريعة ، وهو ما أكده علماؤنا الأوائل:

يقول الإمام الشاطبي (رحمه الله) : إن الأصل في العادات الالتفات إلى المعاني، وبالاستقراء وجدنا الشارع قاصدًا لمصالح العباد ، والأحكام العادية تدور عليها حيثما دارت ، فترى الشيء الواحد يُمنَع في حال لا تكون فيه مصلحة، فإذا كان فيه مصلحة جاز ، ويقول الإمام القرافي (رحمه الله): إن إِجراءَ الأحكام التي مُدْرَكُها العوائدُ مع تغيُّرِ تلك العوائد خلافُ الإِجماع وجهالةٌ في الدّين.

وعليه فإننا لا بد أن نعمل على نشر ثقافة التفكير في سائر جوانب الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والخروج من دائرة القوالب الجاهزة والأنماط الجامدة إلى رؤية تتسم بالفكر وإعمال العقل، وعلينا جميعًا أن نعمل على تحريك هذا الجمود من خلال العمل على نشر ثقافة التفكير وإعمال العقل ومراعاة مقتضيات الواقع ، غير أن هناك من يعتبر مجرد التفكير في التجديد خروجًا على الثوابت وهدمًا لها؛ حتى وإن لم يكن

للأمر المُجتهَد فيه أدنى صلة بالثوابت ، أو بما هو معلوم من الدين بالضرورة وما هو قطعي الثبوت قطعي الدلالة، فقد تبنى منهج الجمود والتكفير والتخوين والإخراج من الدين أناس لا علم لهم ولا فقه، ولا هم من المجتهدين من أهل الاختصاص أو حتى دارسي العلوم الشرعية من مظانها المعتبرة ، مسرعين في رمي المجتمع بالتبديع ، ثم التجهيل، فالتكفير ، حتى وصل الأمر بغلاتهم إلى التفجير واستباحة الدماء ؛ مما يتطلب حركة سريعة وقوية وغير هيّابة لمواجهة الجمود والفكر المتطرف معًا ، حتى نخلص المجتمع والإنسانية من خطر الجهل الشرعي والتطرف الفكري وما يتبعه من تبني الإرهاب منهجًا وسلوكًا .

* * *



الإيمـــان بالتجديـــد

قضية التجديد والتحديث ليست مجرد شعارات للمتاجرة أو المزايدة ، فكل الشعارات التي تتشدق بالتجديد دون إيمان حقيقي به لا يمكن أن تؤتي ثمارًا مرجوة أبدًا ، بل إنها ربما تكون عبئًا على قضايا التجديد نفسها ، فلو قال أحد إننا نقوم بعملية تحديث آلات المصانع ومعداتها دون أن يلمس العمال أنفسهم ذلك على أرض الواقع فإنهم سيكفرون كل هذه الشعارات ، وربما تحول الأمر إلى دعابة أو تهكم وسخرية .

إن عملية التجديد والتحديث في جميع المجالات عملية شاقة وتحتاج إلى جهود مضنية وأناس مؤمنين بها ، ويمتلكون من القوة ، والصلابة ، والجلد ، والهمة ، والنشاط ، والحيوية ، والديناميكية ، والإيمان بالهدف ، والتحمس له ، والإصرار عليه ، ما يؤهلهم للوصول إلى الهدف .

كما أن علينـا التعـاون والعمـل الجاد على الإسهـام في

خلق المناخ العام المهيئ لذلك علميًّا وثقافيًّا وإعلاميًّا ومجتمعيًّا ، مع وضع الضوابط واللوائح والقوانين المحفزة والضامنة لاستمرار عملية التجديد والتحديث ، مع امتلاك الشجاعة الكافية لتحمل تلك المسئولية ، فقد قالوا : من جدد فقد استهدف ، لأنه في كل مجال من المجالات هناك أشخاص مستفيدون من الأوضاع القائمة ، وآخرون متخوفون من عدم القدرة على التأقلم مع التجديد ، أو عدم السبق فيه، أو حتى الخلود إلى الراحة وعدم الرغبة في بذل أي جهد تتطلبه عملية التجديد .

لذا نحن بحاجة إلى قراءة واعية للمستجدات وفهم الواقع ومعايشته ، وليس الهروب منه، كما أن الواقع المحلّي لا يمكن أن يُقرأ قراءة صحيحة بمعزل عن المتغيرات الدولية والواقع العالمي ، وفي رؤية وطنية تقرأ الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني قراءة شاملة .

كما نؤمن بتسارع وتيرة الحياة العصرية في شتى الجوانب العلمية والاقتصادية والتكنولوجية ، إضافة إلى

التقلبات والتكتلات والتحالفات والمتغيّرات السياسية ، كل ذلك يحتم على العلماء والفقهاء إعادة النظر في ضوء كل هذه المتغيّرات ، ويعلم الجميع أن الإقدام على هذا الأمر ليس سهلا ولا يسيرًا ، ويحتاج إلى جهود ضخمة من الأفراد والمؤسسات ، غير أننا في النهاية لابد أن ننطلق إلى الأمام ، وأن نأخذ زمام المبادرة للخروج من دائرة الجمود .

ولا يمكن أن يكون الجمود عند النص وإسقاطه بحرفيته وبمعطيات زمانه ومكانه وبيئته على زمن غير زمنه وبيئة غير بيئته وظرف غير ظرف الفتوى فيه ، وهو ما يعرف بفساد القياس ، كما أن عدم تحقيق المناط وعدم تنقيحه يهوي بالبعض إلى مزالق خطيرة ، وتلك الأمور كلها لا يمكن أن يعيها ويحسن إسقاطها على الواقع إلا أهل التخصص المتميزون ممن رزقهم الله رؤية وبصيرة وقدرة على الفهم والاجتهاد ، غير أن شعرة دقيقة أو خيطا دقيقا يفصل بين التجديد المنضبط والتبديد المنفلت ، فالأول يحقق المصلحة ، والآخر وراءه مفاسد لا تحصى ولا تعد ، إذ

لا يمكن أن ننجح إلا بصدق مع الله (عز وجل) ، وصدق مع النفس ، وصدق مع الناس ، وإعلاء للمصلحة العامة على كل المصالح الخاصة أو الشخصية أو اللهث خلف جنون الشهرة بالبحث عن كل شاذ وغريب ومحاولة تسويقه.

على أن التصدي لقضايا التجديد ليس نزهة ولا ترفًا من الأمر أو الفكر ، فإنه يتطلب من صاحبه أن يكون عالمًا متخصصًا متمكنًا مستنيرًا واعيًا بقضايا عصره ، مدركًا لخصوصيات ودقائق فقه المقاصد ، وفقه الأولويات ، وفقه الموازنات ، ومتى يعتد بالعرف والعادة ومتى لا يعتد به، والفرق بين الثابت والمتغير ، قادرًا على الجمع بين النصوص ، والترجيح بينها ، وفهم مراميها وأبعادها ، وعدم إطلاق الأحكام الجزئية دون إدراك لفقه المقاصد وقواعد الفقه الكلية ، ولا يكفي أن يكون مجرد حافظ للقواعد غير فاهم لمعانيها ولا مدرك لدقائقها ، فلا يقف عند قولهم : الضرر يزال، دون أن يدرك أن الضرر لا يزال بضرر مثله أو أكبر منه،

وأن الضرر الخاص يُتحمل لدفع الضرر العام ، ولا يقف عند حدود قولهم : درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ، دون أن يدرك أن درء المفسدة اليسيرة لا يدفع بتضييع المصلحة الكبيرة ، وأنه إذا تعارضت مفسدتان دُفعت الأشد بالأخف .

*   *   *

الثـــابت والمتـغير

قضية الثابت والمتغير من أهم القضايا التي يجب الوقوف عندها ببصيرة وأناة وتمييز دقيق ، فالنص المقدس ثابت ، والشروح والحواشي والآراء التي كتبت أو قيلت حول النص اجتهادات تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال والأشخاص والمستفتين ، وما كان راجحًا في عصر وفق ما اقتضته المصلحة في ذلك العصر قد يكون مرجوحًا في عصر آخر إذا تغيرت ظروف هذا العصر وتغير وجه المصلحة فيه، والمُفْتَى به في عصر معين ، وفي بيئة معينة ، وفي ظل ظروف معينة ، قد يصبح غيره أولى منه في الإفتاء به إذا تغيّر العصر، أو تغيّرت البيئة، أو تغيّرت الظروف، ما دام ذلك كله في ضوء الدليل الشرعي المعتبر ، والمقاصد العامة للشريعة ؛ وكان صادرًا عن من هو – أو من هم– أهل للاجتهاد والنظر .

وقد قرر العلماء الثقات عددا من القواعد الكلية والفرعية التي تضبط ميزان المفتي ، والمجتهد والمجدد على حد سواء ، نذكر منها :

"لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان"، و"الأصل في المنافع الإباحة والأصل في المضار التحريم" ، و" لا ضرر ولا ضرار"، و"الضرر يُزال" ، "الضرر لا يُزال بضرر مثله أو أكبر منه" ، و"يُتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام" ، و"الضرر الأشد يُزال بالضرر الأخف" ، و"المصلحة العامة مقدمة على الخاصة" ، و "درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة" ، و"لا تدفع المفسدة اليسيرة بتضييع المصلحة الكبيرة"، و" إذا تعارضت المفسدتان دفعت الأشد بالأخف" و"المشقة تجلب التيسير" ، و"الضرورات تبيح المحظورات" ، و"ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها" ، و"العادة محُكّمة" ، و"المعروف عرفا كالمشروط شرطا" ، و"المنكر لا يُزال بمنكر أعظم منه" ، و"اليقين لا يزول بالشك"، كما قرر العلماء كذلك أن كل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة في شيء .

إضافة إلى إجماع جمهور الأصوليين والفقهاء على حجية القياس لمواكبة الأمور الحادثة والطارئة والمستجدة ليكون أحد أهم أدوات المفتي والمجتهد والمجدد في معالجة القضايا العصرية والمستجدة دون جمود أو انغلاق .

وإذا كانت العبادات في جملتها تدخل في نطاق الثابت فهي علاقة تتصل بخاصة العبد فيما بينه وبين الله (عز وجل) ، فإن الشريعة الإسلامية ويسرها قد فتحت أبواب المرونة والسعة واسعة أمام معالجة المتغيرات فيما يتصل بمعاملات الناس بعضهم مع بعض بيعًا وشراءً ، وإقامة مجتمع، ونظام حكم ، بما يحقق المصلحة الشرعية المعتبرة ، ولا يتجاوز الثوابت ، شريطة أن يقوم بعملية الاجتهاد والتجديد أهل النظر من العلماء المتخصصين المستنيرين غير المنعزلين عن واقعهم .

يقول ابن القيم (رحمه الله) : ومن أفتى الناس بِمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم



وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل ، ويقول ابن عابدين (رحمه الله) : إن المسائل الفقهية إما أن تكون ثابتة بصريح النص وإما أن تكون ثابتة بضرب من الاجتهاد والرأي ، وكثير منها يبنيه المجتهد على ما كان في عرف زمانه بحيث لو كان في زمان العرف الحادث لقال بخلاف ما قاله أولا ولهذا قالوا في شروط الاجتهاد : إنه لا بد من معرفة عادات الناس ، فكثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله .

* * *

الفطنة والكياسة

الكياسة ، والنباهة ، والفطنة ، والذكاء ، والوعي ، واليقظة ، أمورٌ ينبغي أن يكون عليها المؤمن ، فلا يَخدع ولا يُخدع ، وكان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: "لست بالخِبّ ولكن الخِبَّ لا يخدعُني"، أي لست بالخداع ولكن الأكثر خداعًا لا يتمكن من خداعي ، وكان المغيرة بن شعبة داهية من دواهي العرب في الفطنة والذكاء ، وكان يقول : لولا الإسلام لمكرت مكرًا لا تطيقه جزيرة العرب ، وفي الأثر : "الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ"، وكانت العرب في جاهليتها تمتدح بالذكاء والفطنة والتيقظ ، حيث يقول طرفة بن العبد : "خَشَاشٌ كَرَأْسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ" ، وكان الفرزدق يقول :

يَنَـامُ بِإِحْـدَى مُقْلَتَيـهِ وَيَتَّقِـي
بِأُخْرَى الأَعَادِي فَهْوَ يَقْظَانُ نَائِمُ

وقد أُمرنا بأقصى درجات اليقظة في حالات الحرب ، فقال سبحانه:{وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً}(1).

وإذا سلّمنا أننا في حرب متعددة الجوانب والمسارات : حرب مع العدو المتربص من أعدائنا الظاهرين ، وحرب مع الخونة والعملاء من بني جلدتنا ، الذين يطعنوننا في ظهورنا بلا وازعٍ من دينٍ أو ضميرٍ أو وطنية ، لا يألون على شيء إلاّ ما يحقق مصالحهم الشخصية أو مصالح الجماعات الإرهابية التي ينتمون إليها .

وإذا كانت الحروب الحديثة متعددة المسارات : قتالية ، واقتصادية ، وفكرية ، وثقافية ، وصارت حروب الجيلين الرابع والخامس هي الأكثر استخدامًا لإفشال الدول وإسقاطها وتفتيتها والإتيان على بنيانها من القواعد من خلال

---

(1) النساء : ١٠٢ .

استخدام العناصر الخائنة والعميلة والمجندة لصالح قوى الشر ، ومن خلال بث الشائعات ، وتشويه الرموز الوطنية ، وتقزيم الإنجازات ، ومحاولات طمس الحقائق ... فإن جانبا كبيرًا من ذلك يعتمد إلى حد كبير على استخدام الخلايا النائمة للجماعات الإرهابية ، وعلى ثلة من المنتفعين الذين يراوغون كما تراوغ الثعالب ، ويغيرون جلودهم مثل الحيات والثعابين ، {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ}[1]، لأن مهمتهم تحريف الكلم عن مواضعه وإخراج الأمور عن سياقها ، فلو كانت الكلمة تُحمل على مائة وجه منها تسعة وتسعون وجها حسنًا ووجه واحد يحتمل التأويل ، حملوها قسرًا على هذا الوجه تشويهًا وتكديرًا وإلباسًا للحق ثوب الباطل ، عمالةً وخيانةً وطمعًا في عَرَضٍ زائلٍ من الحياة الدنيا لا يمكن أن يهنأوا به ؛ لأنه سيكون عليهم حسرة في الدنيا والآخرة .

سنحاسب على هذه النعمة ، وعلينا أن لا نستخدمه في شر ، حتى لا يكون وبالا وحسرة في الدنيا والآخرة ، وهذا ما

(١) محمد : ٣٠.

حذّر منه نبينا (صلى الله عليه وسلم) حين قال: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْهُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ أَخِيهِ ، فَلَا يَأْخُذَنَّهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ)(1).

ويجب ألا نسمح لأحد أن يخدعنا مرتين ، فضلا عن أن يخدعنا أصلاً ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ)(2)، وبما أننا لم نلدغ مرة واحدة من جماعة الإخوان الإرهابية والجماعات المتاجرة باسم الدين ، بل لدغنا لدغاتٍ متعددة مراتٍ ومرات ، وما زال لدغها وسمها مستمرًّا ، فإن الفطنة تقتضي ألاّ نترك هذه الجماعات الضالة لتخدعنا مرةً أخرى ، ولا

(1) صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَحْكَامِ ، بَابُ مَوْعِظَةِ الإِمَامِ لِلْخُصُوم ، حديث رقم : ٧١٦٨ .

(2) صحيح البخاري ، كِتَابُ الأدب ، بَابُ لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ ، حديث رقم : ٦١٣٣.

سيما أنها تتخذ من التمويه والخداع منهجًا ثابتًا ، فهي أشبه بالخفافيش التي لا تحيا إلا في الظلام ولا تتحرك إلا في نطاقه .

ويجب أن ندرك أنّ هذه الجماعة الإرهابية تحاول إعادة بناء نفسها من جديد من خلال محاولات مستميتة للتسلل في مؤسسات المجتمع مرة أخرى .

ودفعًا لمخاطر هذه الجماعات الضالة المضلة يجب أن نكون أكثر ذكاء ووعيًا ويقظة وحسمًا تجاه الخلايا النائمة حتى لا تتمكن من بناء نفسها من جديد ، بما يشكل خطرًا داهمًا .

ويجب أن نتحرك بمنتهى السرعة والحسم ، وقديما قال شاعرنا العربي:

ولقد نصحتهـم بِمُنْعَــرجِ اللِّــوى
فلم يستبينوا النصح إِلاّ ضُحى الغَدِ

مما يستدعي التحرك الحاسم والضَّرب بيدٍ من حديد على كل من يثبت انتماؤه لهذه الجماعات أو استخدامها له،

وعلى أن يقوم كل منا بدوره في ذلك ، وأن يبدأ بنفسه ، وبما هو في نطاق مسئوليته ، وأن يكون ذلك قبل فوات الأوان ، حتى لا نندم حين لا ينفع الندم .

❊ ❊ ❊

شباب صنعوا التاريخ

لا ينكر أحدٌ دورَ الشباب في بناء الأوطان والأمم ونهضتها ورقيها ، ولقد حثَّنا النبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) على اغتنام هذه المرحلة المهمة من العمر، بالعمل والعطاء والتزود من عمل الخير لأنفسنا وديننا ومجتمعنا وأوطاننا ؛ لتحقيق سعادتنا وما فيه خيرنا وخير بلادنا وخير الإنسانية في الدنيا والآخرة ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ): (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)[1] .

وقد أولى نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) الشباب اهتمامًا كبيرًا ومنحهم الثقة ، وحملهم المسئولية للتأكيد على ضرورة استثمار مرحلة الشباب الاستثمار الأمثل، وبذل الوسع في

---

(١) المستدرك على الصحيحين ، كتاب الرقاق ، حديث رقم : ٧٨٤٦.

توظيف طاقاتهم وقدراتهم، وتهيئة الظروف أمامهم لتنمية مواهبهم، وتعظيم الاستفادة مما أفاء الله تعالى عليهم به من قوة في البدن، ورجاحة في العقل، ولين في القلب، ولطف في المشاعر فيما يعود بالنفع العميم على المجتمع كله ، فهذا سيدنا معاذ بن جبل (رضي الله عنه) يمنحه النبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) ثقته ، ويولِّيه على اليمن وهو في ريعان شبابه ، وهذا سيدنا زيد بن ثابت (رضي الله عنه) أصبح كاتب الوحي وهو شاب ، وتعلم السريانية واليهودية وكان مترجمًا للرسول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) ، وهذا سيدنا أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) يُوَلِّيه النبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) قيادة الجيش وكان عمره ثمانية عشر عامًا مع وجود كبار الصحابة (رضي الله عنهم) كأبي بكر ، وعمر ، وهذا سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الشاب الشجاع الذي استخلفه النبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) عند الهجرة ليرد أمانات المشركين إلى أصحابها ، ولينام بشجاعة تامة في فراش رسول الله (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) ، وقد قال (صَلَّى اللهُ

عليْهِ وسَلَّمَ) في حقه يوم خيبر : (لأُعْطينَّ الرَّاية غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ وَيُحِبهُ اللهُ وَرَسُولُه، يَفْتح اللهُ عَلى يَدَيْهِ)[1]، وهذا سيدنا سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) الشاب الذي جعله النبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) من الستة أصحاب الشورى ، وكان النبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) يشير إليه قائلاً : (هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ)[2] وكان عمره سبعة عشر عامًا .

وكان الحسن البصري (رحمه الله) يقول: (قدّموا إلينا شبَابَكم؛ فإنهم أفرغ قلوبًا ، وأحفظ لما سمعوا، فمن أراد الله أن يُتِمّه له أتمه) .

إن الاهتمام بالشباب والحرص على تأهيلهم للقيادة

---

(١) صحيح البخاري ، كِتَابُ المَغَازِي ، بَابُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ ، حديث رقم : ٤٢١٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ)، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ، حديث رقم : ٢٤٠٦ .

(٢) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ)، بَابُ مَنَاقِبِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، حديث رقم : ٣٧٥٢ .

وتحمل المسئولية منهج نبوي أصيل سار عليه الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) بعد وفاة رسول الله (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) ، فهذا سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يكلف سيدنا زيد بن ثابت (رضي الله عنه) بجمع القرآن الكريم ، قائلًا له : (إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ ، وَلاَ نَتَّهِمُكَ ، كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ) ، وهذا تكليف عظيم ، ومهمة كبيرة قال عنها سيدنا زيد (رضي الله عنه) : (فَوَ اللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ) [(١)]، وكان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يجلسه في مجلس شورى كبار الصحابة ، ويقول : (ذَاكَ فَتَى الْكُهُولِ ، إِنَّ لَهُ لِسَانًا سَئُولًا ، وَقَلْبًا عَقُولًا) [(٢)] .

---

(١) صحيح البخاري ، كِتَابُ فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، حديث رقم : ٤٩٨٦ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ، كِتَابُ معرفة الصحابة (رضي الله عنهم) ، ذِكْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) ، حديث رقم : ٦٢٩٨ .

ولم يقف دور الشباب عند عصر النبوة والخلفاء الراشدين ، ففي العصر الأموي نبغ شباب كثيرون منهم محمد بن القاسم بن محمد الذي نشأ وترعرع وتدرب على الجندية ، حتى أصبح من كبار القادة العسكريين في عصره وعمره لم يتجاوز سبعة عشر عامًا وفتح بلاد السند ، وفي الأندلس نبغ عبد الرحمن الداخل الذي أسس الدولة الأموية في الأندلس .

وفي العصر الحديث نبغ الشاب مصطفى كامل باشا الذي عرف بدوره الكبير في مجالات النهضة مثل نشر التعليم وإنشاء الجامعة الوطنية ، ومن أقواله الشهيرة : لوْ لمْ أكنْ مِصريًّا لوددت أنْ أكونَ مصريًّا .

ولسنا نبالغ إذا قلنا إن كثيرًا من مظاهر التقدم والتطور العلمي الذي يعيشه العالم في العصر الحديث في شتى المجالات قائم على أكتاف الشباب الذين أسهموا بجهود متميزة في خدمة الإنسانية ، ففي مجال الفضاء نجد أن

أصغر رائد فضاء هو السوفيتي (غيرمان نوفيتش) لم يكن عمره يتجاوز الخامسة والعشرين عندما صعد إلى الفضاء في عام ١٩٦١م ، وكذلك السوفيتية (فالينتي تريشكوفا) التي كانت أول امرأة في التاريخ تطير إلى الفضاء منفردة دون طاقم يصحبها ، وكانت في السادسة والعشرين من عمرها ، وذلك في عام ١٩٦٣م .

وعند الحديث عن أشهر وأوسع مواقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك) نجد أن من أسسه هو الشاب الأمريكي (مارك زوكربيرغ) من مواليد ١٩٨٤م ، في عام ٢٠٠٤م ، وهو في العشرين من عمره ، وكذا الحال مع (بيل جيتس) الأمريكي الذي وضع نواة أكبر مصنع للإلكترونيات في العالم – ميكروسوفت – وكان وقتها في العشرين من عمره ، وفي أبريل من عام ١٩٧٦م قام (ستيف جوبز) الأمريكي وهو في الثانية والعشرين من عمره بتأسيس وتسويق واحد من أوائل خطوط إنتاج الحاسب الشخصي

في العالم (أبل) ، ثم أبهر العالم بعد ذلك مع زملائه بما أدخلوه عليه من تطور تكنولوجي كبير .

وفي هذا كله ما يدعونا إلى الاهتمام بتأهيل وتدريب الشباب والإفادة من طاقاتهم الإيجابية ، وهو ما ننتهجه مسلكًا واقعيًّا في وزارة الأوقاف المصرية ، سواء بإنشاء أكاديمية عصرية لتأهيل وتدريب الأئمة وبخاصة الشباب منهم ، أم من خلال الدفع بالشباب المتميز من الأئمة والإداريين في المواقع الإدارية والعلمية المتميزة بالوزارة.

* * *



المراقبة الذاتية والإدارية

المراقبة عنوان كبير لصلاح الأفراد والمؤسسات والمجتمعات ، وهي نوعان : ذاتية وإدارية ، أما المراقبة الذاتية فتعني : مراقبة الله (عزّ وجلّ) في السر والعلن ، حيث يحاسب الإنسان نفسه أولاً بأول مدركًا أنه سيأتي اليوم الذي لا تخفى على الله (عزّ وجلّ) منه خافية ، وذلك حيث يقول الحق سبحانه: { يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ

بالله الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ}(١) ويقول سبحانه : {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}(٢)، ويقول سبحانه :{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}(٣)، ويقول سبحانه : {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}(٤) ، ويقول نبينا

---

(١) الحاقة : ١٨ – ٣٧.

(٢) الكهف : ٤٩.

(٣) ق : ١٦ – ١٨.

(٤) الإسراء : ١٣ ، ١٤.

(صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ)(1) ، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، فَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَالثَّلَاثُ الْمُنْجِيَاتُ تَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَكَلِمَةُ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالسَّخَطِ، وَالِاقْتِصَادُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ) (2) ، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (ثَلَاثٌ كَفَّارَاتٌ، وَثَلَاثٌ دَرَجَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ ؛ فَأَمَّا الْكَفَّارَاتُ : فَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَوَاتِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ ، وَنَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ. وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ : فَإِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. وَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ :

---

(1) سنن الترمذي ، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب في القيامة ، حديث رقم : ٢٤١٦.

(2) المعجم الأوسط للطبراني ٦/ ٤٧ ، حديث رقم : ٥٧٥٤ .

فَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ. وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ)(1) ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ): (اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)(2).

أما المراقبة الإدارية فتعني : قيام كل مسئول بواجبه على الوجه الأكمل من المراقبة والمتابعة ، مؤمنًا بأن وضع نظام رقابي صارم هو أحد أهم عوامل نجاح العمل ، ولازمة من لوازمه ، بل ضرورة من ضروراته ، موقنًا بأن المراقبة لا تعني الشك ، وأن الثقة لا تعني عدم المراقبة ، وأن النظام نظام ، ويجب الوفاء بحقه ، وألا تكون المراقبة شكلية ولا روتينية ، إنما تكون مراقبة دقيقة ومحكمة قصد إنفاذ

---

(1) مسند البزار ١٣/ ١١٤ ، حديث رقم : ٦٤٩١.

(2) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ)، بَابُ مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ ، حديث رقم : ١٩٨٧.

القانون، والوفاء بحق العمل والوطن معًا ، وبحيث تكون دقيقة ومحددة في الحقوق والواجبات والالتزام بما لا يترك مجالاً لكثير من التأويلات والتفسيرات والتهرب من المسئولية وليدرك كل إنسان في النهاية أنه أمام رقيب لا تأخذه سنة ولا نوم ، حيث يقول الحق سبحانه : {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}(1).

* * *

(1) البقرة : ٢٥٥.

المتدثرون بلباس الزور

الحق حق ، والباطل باطل ، والطيّب طيّب ، والخبيث خبيث ، والجمال جمال ، والقبح قبح ، والزور زور، والبهتان بهتان ، يقول سبحانه : { قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(١) ، ويقول سبحانه : {أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ}(٢) ، ويقول سبحانه : {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}(٣).

الصدق له وجه واحد ، والكذب له وجوه وطرق عديدة، أما التزييف والتزوير فله مائة وجه ووجه ، الحق له سبيل واحد ، وللباطل ألف سبيل ، يقول الحق سبحانه :

(١) المائدة : ١٠٠.

(٢) السجدة : ١٨.

(٣) القلم : ٣٥ ، ٣٦.

{وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[1] ، فسبيل الله واحدة ، وسبل الشيطان هي سبل الانحراف ، وهي سبل شتى ، تتعدد قدر صور الانحراف البشري والشيطاني ، وعاقبتها الهلاك والبوار في الدنيا والآخرة ، حيث يقول الحق : { أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ }[2].

وعلى الرغم من انتهاء عصر ألقاب الباشوية والبكوية بنهاية حكم الملكية وما كانت تمثله تلك الألقاب من وجاهة اجتماعية ، فإن الحال لم يتغير كثيرًا عند فئة ضعاف النفوس الذين يبحثون عن شراء الألقاب بالمال أو حتى الاحتيال بانتحال بعض الألقاب على غير الحقيقة ، كلقب الدكتور أو المستشار أو السفير دون أن يكون هذا حاصلا على الدكتوراه ، ولا ذاك مستشارًا ولم يرتق منصة قضائية قط ، ولا

(١) الأنعام : ١٥٣.

(٢) المجادلة : ١٩.

ذاكم سفيرًا ولم يطأ السلك الدبلوماسي بقدمه يومًا ما ، غير واعين أن من مدحك بما ليس فيك فقد ذمك وهجاك ، وأن موقفًا واحدًا من الخجل يتعرض له الإنسان لا يُوزان عند الحر الأبيّ بالدنيا وما فيها ، إضافة إلى تعمد الكذب الذي يعد مُخِلاًّ بالمروءة ، وانتحال صفة يعاقب القانون على انتحالها .

الحق أبلج ، والباطل لجلج ، وليس كل ما يلمع ذهبًا ، ولا كل بيضاء شحمة ، ولا كل الخيول جيادًا ، فنقائص النفس لن تجبرها أدوات الشكل والزينة ، ونضوب المعين العلمي والفكري لا يمكن أن تجبره الألقاب المزيفة ، ولو ادّعى المبطل ألف لقب وزوّر ألف شهادة ، فيظل الذهب ذهبًا ، والنحاس نحاسًا ، وكما قال الرافعي : قد يحمل الجبان سيفًا ويحتفظ في بيته بألف سيف وسيف ولكن البطل قبْلُ .

ويمكن للدَّعي المغرور أن يخدع بعض الناس لبعض الوقت ، ولكنه لا يمكن أن يخدع كل الناس كل الوقت ،

والكذب لا أصل له ، ولا بد للدّعيّ أن ينكشف أمره ، وأن يفتضح سره ، وأن تظهر حقيقته ، وساعتها سيخسر كل شيء ، ويخسر ذاته إن كان له ذات يمكن أن يخسرها .

الإنسان بعلمه وخلقه ووعيه وثقافته ووطنيته وبذله وعطائه وإتقانه لعمله ، وقدره الحقيقي ما يحسنه فعلاً لا ادعاء، حقيقة لا وهمًا .

ولا يعفي الإنسان أنه لم يطلب من أحد أن يصفه بذلك، بل إن واجبه أن يصحح ذلك ولا يترك مناسبة دون تصحيح ؛ لأن ذلك يرفعه ولا ينتقص منه ، إذ إن من يقوم بذلك التصحيح إنما هو إنسان عظيم ، واثق في الله ثم في قدراته ، معتز بكينونته الحقيقية لا ما يستر به البعض أنفسهم من ألقاب منتحلة ومزيفة .

ما أجمل الصدق مع الله ، ومع الناس ، ومع النفس ، وما أقبح الكذب على الله ، وعلى الناس ، وعلى النفس ، إن الكذب من أخص صفات المنافقين ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ

عليْهِ وسَلَّمَ): (آيةُ المُنَافقِ ثَلاثٌ : إذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أخلَفَ وَإِذَا اؤتمن خَانَ) [1]، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ): (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا)[2] .

ثم إن العلماء يؤكدون أن معيار الصدق والكذب أحد أهم معايير قوة الإيمان وضعفه ، حتى عرف بعضهم الإيمان بقوله : أن تقول الصدق مع ظنك أن الصدق يضرك وألا تقول الكذب مع ظنك أن الكذب قد ينفعك ، لشدة إيمانك بأن ما كان لك فسوف يأتيك ، (وَأَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن

(١) صحيح البخاري ، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَابُ عَلاَمَةِ المُنَافِقِ ، حديث رقم : ٣٣ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ ، بَابُ قُبْحِ الْكَذِبِ وَحُسْنِ الصِّدْقِ وَفَضْلِهِ، حديث رقم : ٢٦٠٧ .

لِيخْطِئكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكن لِيصيبَكَ) [1]، (رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)[2] .

ويلحق بالمتدثرين بلباس الزور أولئك الذين يحاولون إخفاء حقيقتهم من الخلايا النائمة للجماعات الإرهابية المتطرفة الذين يقسم أحدهم ألف قسم وقسم أنه على خط الوطنية المستقيم وعلى خط الفهم الوسطي المستنير غير أنه يضمر غير ذلك ، ويتخذ من التقية المقيتة شعارًا ومن لباس الزور ستارًا يستر به انتماءه للجماعات المنحرفة عن طريق الرشاد .

* * *

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في القدر ، حديث رقم : ٤٧٠٠ .

(٢) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ)، باب رقم ٥٩ ، حديث رقم : ٢٥١٦ .

أصـــدقاء الفيــس بـــوك

الصديق صديق في العالم الواقعي أو الإلكتروني ، ولا يخلو من أن يكون صديق خير أو يكون صديق سوء ، وبما أن الناس يجالسون " الفيس بوك" أكثر مما يجالسون البشر ، فإنه من الضروري تخير أصدقاء الفيس بوك كتخير أصدقاء العمل والحياة سواء بسواء ؛ لأن الصديق الواقعي أو الإلكتروني كليهما إما أن يأخذك إلى طريق الاستقامة والوطنية أو إلى طريق الهلاك والضلال .

فالصديق مشتق من الصدق ، فهو من يصدقك في السر والعلن ، في البأساء والضراء ، في المنشط والمكره ، من يحب لك ما يحبه لنفسه ، ويكره لك ما يكره لنفسه ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[1]، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) :

(١) صحيح البخاري ، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، حديث رقم : ١٣ .

(ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)(1)، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ : إِمامٌ عادِلٌ ، وشابٌّ نَشَأَ في عِبادة الله تعالى، ورَجُلٌ قَلْبُه مُعَلَّقٌ بالمساجد ، ورَجُلانِ تَحَابَّا في الله: اجْتَمَعَا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورجلٌ دَعَتْه امرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فقال: " إِني أَخاف الله "، ورجلٌ تصدَّق بصَدَقَةٍ ، فأَخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُه ما تُنْفِقُ يَمِينُه ، ورجلٌ ذكر الله خاليًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)(2) .

فالصديق في كل حال ميزان حال صديقه ، صلاحه من صلاحه ، وفساده من فساده ، والطيور على أشكالها تقع ، ومن صاحب الصالحين نُسب إليهم وإن لم يكن منهم ، ومن

(1) صحيح البخاري ، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَابُ حَلاَوَةِ الإِيمَانِ ، حديث رقم : ١٦.
(2) صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَذَانِ ، بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ وَفَضْلِ المَسَاجِدِ ، حديث رقم : ٦٦٠.

جالس السيئين نُسب إليهم وإن لم يكن على حالهم، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن النبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) قال: (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)[1]، فالصاحب والجليس إن كان صالحًا طائعًا دلنا على طريق الطاعة والعبادة، ودفعنا إليه دفعًا، أو على الأقل منعنا من معصية الله ، وأمرنا بتقواه ، وإن كان سيئا والعياذ بالله حاول جرنا إلى طريقه، ولله درّ القائل:

عَنِ المَرءِ لا تَسأَل وَسَل عَن قَرينِهِ
فَــكُلُّ قَرينٍ بِالمُقــارِنِ يَقتَــدي

على أن هناك من الكتائب الإلكترونية للجماعة الإرهابية من يحاولون رمي شباكهم عبر مواقع التواصل على أبناء المجتمع من باب الصداقات الفيسبوكية مستخدمين أسماء أو حسابات مستعارة أو مضللة ، مع تعمد تغيير الاسم ، أو النوع ، أو الصورة ، أو الأيدلوجية ، أو الصفة

(١) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) ، حديث رقم : ٢٣٧٨ .

الوظيفية ، أو محل الإقامة ، أو كل ذلك ، أو بعضه كوسيلة للإيهام والتضليل والهروب عن أعين الرقيب أو الرقباء، ويعمدون من خلال حساباتهم الوهمية إلى بث الشائعات والأكاذيب وتشويه الرموز الوطنية وتحويل إنجازات الدولة إلى إخفاقات ، مستحلين الكذب والافتراء وقلب الحقائق ، لذا وجب على كل منا أن يعرف حقيقة هؤلاء العملاء المأجورين وألا ينساق خلفهم ، فلا يوجد وطني حقيقي واحد يقبل بتشويه صورة بلده ورموزها الوطنية على مواقع التواصل أو غيرها.

وإذا كان بعض الناس يظن نفسه قادرًا على الإفلات من الرقابة أو المحاسبة أو منهما معًا فعليه أن يدرك أنه إن استطاع الإفلات من حساب الخلق فأين هو من محاسبة من لا تأخذه سنة ولا نوم ، يقول سبحانه : { وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}(1).

---

(1) يونس : ٦١.

كف النفس عن الهوى

شتان بين الإخلاص والتجرد وبين الوقوع في براثن هوى النفس ، فأي عملية إصلاح لا يمكن أن تكون تامة ونزيهة وشفافة ومقنعة ما لم يتجرد صاحبها لخدمة دينه ووطنه ومرضاة ربه ، ويتخلص من هوى النفس ونزغاتها ، ومن ثمة كنا مطالبين بالعدل في الرضا والغضب ، في الصديق والعدو وإيثار المصلحة العامة على هوى النفس وكل الأهواء والمصالح الخاصة ، حيث يقول الحق سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }(1)، ويقول سبحانه : {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

(1) النساء : ١٣٥.

لِلتَّقْوَى}[1] ، ويقول سبحانه : {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى}[2] ، ويقول سبحانه مخاطبًا سيدنا داود (عليه السلام) : { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ }[3].

فالعدل الذي ننشده ونؤكد عليه ليس مسئولية رئيس الدولة وحده ، ولا السلطة الأعلى في أي مؤسسة وحدها ، فإن المسئولية في تحقيق العدالة تقع على كل من ولاه الله أمر مجموعة من الناس في أي مجال من المجالات ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللهَ مَغْلُولًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى

---

(١) المائدة : ٨.

(٢) الأنعام : ١٥٢.

(٣) سورة ص : ٢٦.

عُنُقِهِ فَكَّهُ بِرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ ، أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1]، فمدير المدرسة ، ومدير المستشفى ، إلى مدير الإدارة في كل مصلحة ، إلى مدير المديرية ، إلى وكيل الوزارة، إلى رئيس القطاع ، فالمحافظ والوزير كل في مجاله وميدانه مسئول عن تحقيق العدالة بين مرءوسيه وبين المستفيدين من الخدمة التي تقدمها المؤسسة التي هي في نطاق مسئوليته.

على أن تحقيق العدل الإداري بين المرءوسين وبين المتعاملين يعمق الولاء والانتماء الوطني ، أما ظلم الناس بتقديم الولاء على الكفاءة أو أي لون من ألوان الظلم فإنه يولد الاحتقان المجتمعي ويضعف الولاء الوطني ، ويؤدي إلى الشقاق المجتمعي .

وعاقبة الظلم هي الهلاك والدمار في الدنيا والسخط وسوء العاقبة يوم القيامة ، حيث يقول الحق سبحانه في

(١) مسند أحمد ٣٦/ ٦٣٥ ، حديث رقم : ٢٢٣٠٠ .

شأن الظالمين : {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا}[1] ، ويقول سبحانه : {فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ}[2] ، ويقول سبحانه : {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ}[3].

أما في شأن الظالمين يوم القيامة ، فيقول سبحانه : {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا}[4]، ويقول سبحانه : {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ}[5]، ويقول سبحانه : { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ

---

(١) النمل : من الآية : ٥٢.

(٢) القصص : من الآية : ٥٨.

(٣) يونس : ١٣.

(٤) الفرقان : ٢٧ ، ٢٨.

(٥) غافر : ١٨.

وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}[1] ، ويقول سبحانه : { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}[2]، وإذا كان الماء المغلي يشوي البطون فإن ماء جهنم من نظر إليه على بعد فإنه كما جاء في الآية الكريمة : {يَشْوِي الْوُجُوهَ}، جزاءً وفاقًا .

فعلى كل واحد من أبناء المجتمع في إطار مسئوليته التي ولاه الله إياها أن يعدل بين الناس وأن يحكم ضميره الديني والوطني والمهني ، وألا يحكم الهوى أو الأهواء أو المجاملة أو أي شيء تحت أي مسمى سوى ما يحقق العدل والنزاهة في أسمى صورهما ومعانيهما .

ولا يمكن لذلك أن يتحقق إلا بحسن مراقبتنا لمن لا تأخذه سنة ولا نوم ، مدركين أنه سبحانه يعلم السر وأخفى ،

---

(١) غافر : ٥٢.

(٢) الكهف : من الآية : ٢٩.

حيث يقول سبحانه : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}[1]، ويقول سبحانه: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[2] ، ويقول سبحانه على لسان لقمان (عليه السلام) في وصيته لابنه : {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ }[3] ، ويقول الحق سبحانه : { يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ}[4].

* * *

---

(١) ق : ١٦.

(٢) المجادلة : من الآية : ٧.

(٣) لقمان : ١٦.

(٤) الحاقة : ١٨.

تعدد طرق الخير في الرسالة المحمدية

لعل تعدد طرق الخير وتنوعها من أهم ما تتسم به الرسالة المحمدية ، فإن الحق سبحانه وتعالى لم يشأ أن يحرم أحدًا من عباده أو خلقه من الخير والفضل ، فراعى طبائع البشر وظروفهم وإمكاناتهم ، وفتح أمامهم سبل الخير وطرقه على مصارعها ، فقال سبحانه في الحديث القدسي : (إِذَا تقرَّبَ العَبدُ إليّ شبرًا تقَرّبتُ إليْهِ ذِرَاعًا ، وَإِذَا تقرَّبَ إليّ ذِرَاعًا تقربتُ منْهُ بَاعًا ، وَإِذَا أَتَاني يَمْشِي أتيتهُ هَرْوَلة)[1] .

ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (إِذَا تَوَضَّأَ العبد فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ فَإِذَا

(١) صحيح البخاري ، كِتَابُ التَّوْحِيدِ ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}، حديث رقم : ٧٤٠٥ ، وصحيح مسلم ،كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى ، حديث رقم : ٢٦٧٥.

صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ) [1] ، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (مَن غَدَا إِلى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لهُ نُزُلًا فِي الجَنَّةِ كُلَّمَا غدَا أَوْ رَاح)[2] ، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّب - وَلَا يَقْبَل اللهُ إِلَّا الطَيِّب- فإِنَّ اللهَ يَقبلها بِيمِينهِ ثمَّ يربيهَا لصَاحِبِهَا كَمَا يُربّي أَحَدُكُم فَلُوَّه حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ) [3].

(١) صحيح البخاري ،كِتَابُ الصَّلاَةِ ، بَابُ الصَّلاَةِ فِي مَسْجِدِ السُّوقِ ، حديث رقم : ٤٧٧.

(٢) صحيح مسلم ، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ ، بَابُ الْمَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ تُمْحَى بِهِ الْخَطَايَا ، وَتُرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ ، حديث رقم : ٦٦٩.

(٣) صحيح البخاري ، كِتَابُ الزكاة ، بَابُ الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، حديث رقم : ١٤١٠، وصحيح مسلم ، كتاب الذّكْرِ الزكاة ، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا ، حديث رقم : ١٠١٤.

ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلى رَمَضَانَ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتْ الكَبَائِرُ)[1] ، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُق رَجَعَ كَيَوم وَلَدَتهُ أُمُّه)[2]، وأمرٌ بالمَعْروفِ صَدَقةٌ ، وَنَهْيٌ عَن المُنكر صدقةٌ ، وإماطةُ الأذَى عَن الطريق صَدَقةٌ ، وَكَفُ الإنسَانِ أَذَاه عَن الخَلق صَدَقةٌ ، وَذَكَرَ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : رَجلاً وَجَدَ غُصْنَ شَوكٍ عَلى الطريق فنحَّاهُ جَانبًا فغَفرَ اللهُ لهُ ، وَفي كُل ذَاتِ كَبد رَطبةٍ صدقةٌ ، وَفي بُضْع أَحَدنَا فِي الحَلال صَدَقة".

ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ) : (تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، بَابُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانِ إِلَى رَمَضَانَ مُكفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ ... ، حديث رقم : ٢٣٣.

(٢) صحيح البخاري ، كِتَابُ الحج ، بَابُ فَضْلِ الحَجِّ المَبْرُورِ ، حديث رقم: ١٥٢١.

صَدَقَةٌ ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ) قَالَ : (وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ)[1].

ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاَهُنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الجَنَّةَ)[2] ، فعدَّ بعضهم منها ردّ السلام ، وتشميت العاطس ، والإفساح لأخيك في المجلس ، والتبسم في وجهه ، حيث يقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (لا يَحقِرنَّ أحدُكم مِن المَعْروفِ شَيئًا مِنَ الخَيرِ وَلوْ أنْ تَلقَى أخَاكَ بوَجهٍ طَلَق)[3] ، والمراد بمنيحة العنز هو

---

(١) صحيح البخاري ، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ ، بَابُ مَنْ أَخَذَ بِالرِّكَابِ وَنَحْوِهِ ، حديث رقم : ٢٩٨٩.

(٢) صحيح البخاري ، كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا ، بَابُ فَضْلِ المَنِيحَةِ ، حديث رقم : ٢٦٣١ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ ، حديث رقم : ٢٦٢٦.

إهداء أنثى المعز إلى شخص ليحلب لبنها فيشربه ثم يعيدها إلى صاحبها ، فإذا كانت أبواب الجنة تفتح لصاحب هذا الصنيع من المعروف مع يسره ، فإنَّ أبوابها لمن يأتي بما فوق ذلك من الخير أوسع وأرحب .

والكلمة الطيبة صدقة ، حيث يقول الحق سبحانه : {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[1] ، وأكل الطير من زرع الإنسان صدقة ، يقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (مَا مِن مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسَاً أَوْ يَزْرَعُ زَرْعاً فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إلاَّ كَانَ لَه بِهِ صَدَقةٌ)[2] ، وفي ذلك كله ما يؤكد سعة أبواب الخير وتعدد طرقها رحمة من الله بخلقه وعباده .

---

(١) إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥ .

(١) صحيح البخاري ، كِتَاب المُزَارَعَةِ ، بَابُ فَضْلِ الزَّرْعِ وَالغَرْسِ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ، حديث رقم : ٢٣٢٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، بَابُ فَضْلِ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ ، حديث رقم : ١٥٥٣.

الإيثـار لا الأثـرة

الإيثار والأثرة نقيضان ، فالإيثار عطاء ، وبذل ، وجود ، وكرم ، وسخاء نفس ، والأثرة شح ، وبخل ، وأنانية ، وضيق نفس .

الإيثار خلق عظيم امتدح به الله (عز وجل) أصحاب رسولنا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) من الأنصار الذين آثروا إخوانهم من المهاجرين على أنفسهم ، فقال سبحانه في كتابه العزيز : {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(1).

فالسخي قريبٌ من الله ، قريبٌ من الناس ، قريبٌ من الجنة ، بعيدٌ عن النار ، والبخيل بعيدٌ عن الله ، بعيد عن الناس ، بعيد عن الجنة ، قريب من النار : وخير الناس أنفعهم

---

(1) الحشر : ٩ .

للناس ، وما استحق أن يولد من عاش لنفسه .

الإيثار خلق من الأخلاق الكريمة التي تدل على المروءة ، والشهامة ، والنبل، والإنسانية ، والرقي ، وقد ضرب نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) وأصحابه أروع المثل في ذلك، فقد جاءت امرأة إِلَى رسول الله (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ ، فَقَالَتْ : نَسَجْتُها بِيَدَيَّ لأَكْسُوكَهَا ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) مُحْتَاجاً إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ ، فَقَالَ رجل من القوم : يا رسول الله ، اكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا ! فَقَالَ : نَعَمْ ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) فِي المَجْلِسُ ، ثُمَّ رَجَعَ فطَواهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ : فَقَالَ لَهُ الْقَومُ : مَا أَحْسَنْتَ ! لَبِسَهَا النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) مُحتَاجاً إِلَيْهَا ، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلاً ، فَقَالَ : إنّي وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ لأَلْبِسَهَا ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفِنِي ، فَكَانَتْ كَفَنَهُ"(١).

(١) صحيح البخاري ، كِتَابُ الجَنَائِزِ ، بَابُ مَنِ اسْتَعَدَّ الكَفَنَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) فَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ ، حديث رقم : ١٢٧٧ .

ولما قفل رسول الله (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) من حنين علقت به الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) ثم قال: (أَعْطُونِي رِدَائِي ، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا ، لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلًا ، وَلاَ كَذُوبًا ، وَلاَ جَبَانًا)[1].

وأَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) ، فَبَعَثَ (عليه الصلاة والسلام) إِلَى نِسَائه ، فَقُلْنَ : مَا عِنْدَنَا إِلَّا الْمَاءُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (مَنْ يَضُمُّ هَذَا ، أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟" فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا ، وَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ : أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) ، فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَانِ ! فَقَالَ : هَيِّئِي طَعَامَكِ ، وَأَصْبحِي سِرَاجَكِ ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً ، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا ، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا ، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ السِّرَاجَ ، فَأَطْفَأَتْهُ ، فَجَعَلا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلانِ ، فَبَاتَا

(١) صحيح البخاري ، كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ ، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ ، حديث رقم: ٣١٤٨ .

طَاوِيَيْنِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَا غَدَا إِلَى رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) ، فَقَالَ : ضَحِكَ الله اللَّيْلَةَ ، أَوْ عَجِبَ مِنْ فِعَالِكُمَا ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ }(1) .

وفي الصحيحين عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : "جاءَتني مِسْكِينَةٌ تَحْمِلِ ابْنَتَيْن لَهَا ، فَأَطعمتهَا ثَلاثَ تَمْرَاتٍ ، فَأَعطتْ كُلَّ وَاحدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرفعتْ إلى فِيها تَمْرةً لتأَكُلهَا، فَاسْتَطعَمَتها ابْنَتَاهَا، فَشَقَّت التَّمْرَةَ الَّتي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تأْكُلهَا بيْنهُمَا ، فأَعْجبني شأْنَها ، فَذَكرْتُ الَّذي صنعَتْ لرسولِ اللَّه (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) فَقَالَ : (إنَّ اللَّه قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجنَّةَ ، أَو أَعْتقَها بِهَا مَن النَّارِ)(2) ، فإذا كان هذا جزاء من آثرت ابنتها على نفسها فما بالكم بمن يؤثر الضعيف والمحتاج والمسكين ؟!.

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ : {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}، حديث رقم : ٣٧٩٨ . والآية : ٩ سورة الحشر.
(2) صحيح البخاري ، كِتَابُ الزَّكَاةِ ، بَابٌ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ ، حديث رقم : ١٤١٨.

وعن حذيفة العدوي أنه قال : "انْطَلَقْتُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمِّي ، وَمَعِي شَنَّةٌ مِنْ مَاءٍ ، وَإِنَاءٌ ، فَقُلْتُ : إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ سَقَيْتُهُ مِنَ الْمَاءِ ، وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِهِ يَنْشَغُ – أي : يمص بفيه – ، فَقُلْتُ لَهُ : أَسْقِيكَ ؟ فَأَشَارَ أَنْ نَعَمْ، فَإِذَا رَجُلٌ ، يَقُولُ : آهِ ، فَأَشَارَ ابْنُ عَمِّي أَنِ انْطَلِقْ بِهِ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ أَخُو عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ : أَسْقِيكَ ؟ فَسَمِعَ آخَرَ ، يَقُولُ : آهِ ، فَأَشَارَ هِشَامٌ أَنِ انْطَلِقْ بِهِ إِلَيْهِ ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ أَتَيْتُ ابْنَ عَمِّي ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ".

وأعلى درجات الإيثار هو إيثار ما عند الله تعالى على الدنيا وما فيها ، استجابة لقوله تعالى : {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ}[1].

* * *

---

(١) النحل ، من الآية : ٩٦ .

طلاقة الوجه

طلاقة الوجه سيم المؤمنين ، وسمت الصالحين ، ودليل على سعة الأفق والاستنارة في فهم الدين ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (لا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُم عَمَلًا مِنَ الخَيْر وَلوْ أن يَلقَى أخَاهُ بِوجهِ طَلْقٍ)[1] ، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ)[2] ، وكان رسول الله (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) دائم الْبِشْرِ ، سهل الخُلُق، لَيِّنَ الجانب[3] ، وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طلْقٍ، وَأَنْ

(١) صحيح مسلم ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ ، حديث رقم : ٢٦٢٦ .

(٢) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ ، حديث رقم : ١٩٥٦ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٢٢/ ١٥٥ ، حديث رقم : ٤١٤ .

تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ)[1]، وقال أبو حاتم : "البَشَاشَة إدام العلماء ، وسجيَّة الحكماء ؛ لأنَّ البِشْر يطفئ نار المعاندة ، ويحرق هيجان المباغضة ، وفيه تحصين من الباغي، ومنجاة من الساعي ، ومن بَشَّ للنَّاس وجهًا ، لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك)، وقال ابن عيينة : "البَشَاشَة مصيدة المودَّة ، والبِرُّ شيء هيِّن ، وجه طليق، وكلام ليِّن" ، وقال الأحنف : "رأس المروءة : طلاقة الوجه ، والتودُّد إلى النَّاس" .

وقد تغنى العرب في أشعارهم بطلاقة الوجه ، وسماحة الخلق ، يقول زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان :

تـــراه إذا مـــا جئـت متهلـــلا
كأنك تعطيـه الـذي أنـت سائلـه

ويقول أبو الأسود الدؤلي:

وإذا طلبت إلـــى كريـم حاجـــة

(1) صحيح البخاري ، كِتَابُ الأَدَبِ ، بَابٌ كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ، حديث رقم : ٦٠٢١.

فلقـــــاؤه يكفيـــك والتسليـــم

ويقول المتنبي :

تهلـــل قبــــل تسليمـــي عليـــه

وألقـــى مالـــــه قبـــل الوســـاد

وفي الحديثِ أن النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) قَالَ : (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ)(1).

وإذا كان الأنبياء جميعًا قد بعثوا رحمة للعالمين ، وكانت رسالة الأديان كلها رسالة التسامح والتيسير في أسمى معانيهما ، وكان العلماء ورثة الأنبياء ، فلا يمكن أن تكون رسالة العلماء هي العسر أو المشقة على الناس ، ولا يمكن أن تكون وجوههم عابسة في وجوه خلق الله ، وهذا مضرب

(1) صحيح البخاري ، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ ، بَابُ {عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ}، حديث رقم : ٤٩١٨ .

المثل سيدنا رسول الله (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : يأتيه أحد الناس فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ ، قَالَ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا ؟ قَالَ : لا ، قَالَ : فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟ قَالَ : لا ، فَقَالَ : فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ؟ قَالَ : لا ، قَالَ : فَمَكَثَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ ، وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ (وهو الزنبيل الكبير) قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ ؟ فَقَالَ : أَنَا ، قَالَ : خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَ اللَّهِ مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَضَحِكَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ: (أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ)[1].

---

(١) صحيح البخاري ، كِتَابُ الصوم ، بَابُ إِذَا جَامَعَ فِي رَمَضَانَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ، فَتُصُدِّقَ عَلَيْهِ فَلْيُكَفِّرْ ، حديث رقم : ١٩٣٦.

ألا نتعلم هذه الرحمة وهذه السماحة من نبي الرحمة والسماحة الذي بعثه ربه (عز وجل) رحمة للعالمين ، فقال : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[1]، وقد قالوا : المؤمن سهل هين لين يألف ويؤلف ، والكافر فظ غليظ لا يألف ولا يؤلف ، فالغلظة والقسوة من صفات أهل النار .

على أنَّ الوجوه الكالحة العابسة تُنفِّر من الإسلام ولا تدعو إليه ، أما الوجوه السمحة الباسمة فهي مناط الأمل في الدعوة الحكيمة الراشدة ، وهي التي تبشر ولا تنفر وتيسر ولا تعسر ، وتقرب الناس إلى دين الله وتحببهم فيه ، لا تبعدهم عنه ولا تنفرهم منه.

* * *

(١) الأنبياء : ١٠٧ .



الأولى بابتسامتك

إذا كان الإسلام قد حثنا على الأمل والتفاؤل وجعل ابتسامة الإنسان في وجه أخيه الإنسان صدقة ، وقال نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (لا تَحْقِرنَّ مِنَ المَعْروفِ شَيئًا وَلوْ أنْ تَلقَى أخَاكَ بوَجهٍ طَلق) [1] ، داعيًا إلى إشاعة روح البهجة في المحيط الإنساني، فإن أولى الناس بذلك وأحقهم بابتسامتك هم أهلك من زوجك وولدك ، لا أن تبتسم في وجه المجتمع كله – وهذا مطلوب – ، ثم تضن بهذه البسمة وتلك الروح الإيجابية على أولى الناس بك وهم زوجك وأهلك وولدك بحجة أو زعم أنهم ينبغي أن يتحملوك ، والأمر على غير ذلك .

ما أجمل أن نبني حياتنا على الحب ، على المودة ، على السكينة ، على الرحمة ، بين الزوج وزوجه ، بين الأب

(١) صحيح مسلم ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ ، حديث رقم : ٢٦٢٦ .

والأم وأبنائهما ، بين الجار وجاره ، بين الزميل وزميله ، حبًا متبادلاً ، ومودة متبادلة بين الجميع ، وساعتها سيتعلم كل الناس حب الحياة ، ويتذوقون طعم الحب والألفة والمودة ، بدلا من حالات الشقاق بين الزوجين بما يترتب عليها من ارتفاع معدلات الطلاق وتشرد الأبناء وضياعهم ، وحالات الشقاق بين الآباء والأبناء بما يترتب عليها من القسوة والعقوق ، وبين الجيران وبين الزملاء وبين العمال وأصحاب العمل ، بما تعج به أروقة المحاكم من قضايا أسرية ، وعمالية، ونزاعات وشجارات ، كان من الممكن أن نتفادى كثيرًا منها لو فهمنا الأديان وحتى المعاني الإنسانية الراقية حق الفهم ، وأخذنا أنفسنا بها ، وأحسنا ترتيب أولوياتنا ، وبدأ كل إنسان منا بنفسه ، وأدى الذي عليه كما يحب أن يأخذ الذي له .

* * *



معية الله

معية الله إما معية مراقبة أو معية تأييد ، فمعية المراقبة ، تعني ضرورة أن يستشعر العبد أن الله (عز وجل) معه يراقبه حيثما كان ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(1) ، ويقول سبحانه على لسان لقمان (عليه السلام) في وصيته لابنه : { يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}(2)، ويقول سبحانه : { وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي

---

(١) المجادلة : ٧.

(٢) لقمان : ١٦ .

ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}[1] ، ويقول سبحانه : {وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[2] ، فهي معية مراقبة ، لا يعزب منها عن علمه سبحانه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض .

وهذه المعية هي التي جعلت ابنة بائعة اللبن تقول لأمها التي أمرتها أن تمزج اللبن بالماء : إن كان عمر قد نام فإن رب العزة لا تأخذه سنة ولا نوم ، وجعلت راعي الغنم الأمين يقول : إن كان صاحب الغنم لا يرانا فأين الله الذي لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء ؟ ، وهي أكبر حاجز لصاحبها عن الغدر والكذب ، والخيانة ، والسرقة ، والفساد ، والإفساد ، وتطفيف الكيل والميزان وأكل أموال الناس بالباطل ، فاستحضار معية الله (عزَّ وجل) والخوف منه طريق الصلاح والتقوى والحصن الواقي من الزلل.

---

(١) الأنعام : ٥٩.

(٢) يونس : من الآية : ٦١.

أما النوع الثاني من المعية فهو معية الحفظ والتأييد ، حيث يقول الحق سبحانه لنبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}[1] ، وحيث يقول الحق سبحانه : {إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[2] .

وهي أيضًا معية العون والنصر ، حيث يقول الحق سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}[3]، ويقول (عز وجل) : {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ

---

(١) الطور : ٤٨.

(٢) التوبة : ٤٠.

(٣) محمد : ٧.

بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}(١) ، ويقول سبحانه : {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}(٢).

أما من ضلَّ عن ذكر الله (عز وجل) فإنه يفتقد معيته سبحانه ويلقى معيشة ضنكا ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى* وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى}(٣) ، ولا يبارك في أثره ، فديار الظالمين إلى بوار ، حيث يقول الحق سبحانه : {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا

---

(١) آل عمران : ٢٣-٢٦.

(٢) الأنفال : ١٧ .

(٣) طه : ١٢٤-١٢٧.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[1] ، ويقول سبحانه : { فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ}[2]، ويقول سبحانه: {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ}[3].

❊ ❊ ❊

---

(١) النمل : ٥٢.

(٢) القصص، من الآية : ٥٨.

(٣) الحج : ٤٥.

الابتلاء بالخير والشر

الابتلاء معناه الامتحان والاختبار ، ويكون بالخير والشر ، يقول الحق سبحانه : { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}(1) ، ويقول سبحانه : {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}(2).

فالابتلاءُ يكون بالسعة في المال أو ضيق ذات اليد فيه ، الأول يبتلى لينظر هل يشكر ويؤدي حق الله في المال أو لا، يقول الحق سبحانه : {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ

---

(1) الأنبياء : ٣٥.

(2) العنكبوت : ٢ ، ٣.

لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}(1) ، ويقول نبيّنا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ): (إنَّما الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفرٍ ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْمًا فهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَلاَ يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالاً وَلاَ عِلْمًا فهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ)(2).

فمن شكر فله المزيد وحسن الجزاء ، ومن كفر فله السخط وزوال النعمة ، ولعذاب الآخرة أكبر ، حيث يقول

(1) محمد : ٣٨.

(2) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) ، بَابُ مَا جَاءَ مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ ، حديث رقم : ٢٣٢٥ .

الحق سبحانه : { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }[1] ، ويقول سبحانه : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ }[2].

والآخر يبتلى بقلة المال لاختبار صبره وصلابة إيمانه أو جزعه وسخطه وضعف إيمانه بالله تعالى ، وفي هذا يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ للإِسْلامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ)[3].

والابتلاء يكون بالصحة والمرض ، بالصحة لينظر هل سيشكر صاحبها نعمة الله عليه ويجعلها في خدمة الضعيف والشيخ الكبير وذوي الاحتياجات الخاصة أم يفتري بصحته

---

(١) الرعد : ٧.

(٢) النحل : ١١٢.

(٣) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الكَفَافِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ ، حديث رقم : ٢٣٤٩ .

وقوته على خلق الله، وقد يكون بالمرض لينظر هل سيصبر صاحبه على ما أصابه أو لا ، فمن صبر ورضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط.

وقد يكون الابتلاء بالولد أو بالحرمان منه ، فمن ابتلي بالولد نظر هل سيشكر النعمة، ويؤدي شكرها بحسن تربية أبنائه وتعهدهم ، والوفاء بحقهم ، فعن كعب بن عجرة : أَنَّ رَجُلًا مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ)، فَرَأَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ): (إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَهْلِهِ فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى تَفَاخُرًا وَتَكَاثُرًا فَفِي سَبِيلِ الطَّاغُوت)[1]، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (مَنْ

(١) المعجم الصغير للطبراني ٢/ ١٤٨ ، حديث رقم : ٩٤٠ .

كُنَّ لَهُ ثَلاثُ بَناتٍ أَوْ ثَلاثُ أَخَوات أَوْ بِنتَان أَوْ أُخْتَان اتقى اللهَ فِيهِنَّ وَأَحَسَنَ إِليْهِنَّ حَتى يَبِنَّ أَوْ يَمُتْنَ كُنَّ لهُ حِجَابًا مِنَ النَّار)(١) ، أو أنه سيضيع الأمانة والنبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) يقول: (كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ)(٢)، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا) (٣)، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْترْعَاهُ ، حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ ؟ حتَّى يُسْأَل الرَّجلُ عَن أَهْلِ بَيْتِهِ)(٤).

---

(١) مسند أحمد ٣٩/ ٤١٩ ، حديث رقم : ٢٣٩٩١ .

(٢) السنن الكبرى للنسائي ، كِتَابُ عِشْرَةِ النِّسَاءِ ، إِثْمُ مَنْ ضَيَّعَ عِيَالَهُ ، حديث رقم :٩١٣١ .

(٣) صحيح البخاري ، كِتَاب العِتْقِ ، بَابٌ العَبْدُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ، حديث رقم: ٢٥٥٨.

(٤) السنن الكبرى للنسائي ، كِتَابُ عِشْرَةِ النِّسَاءِ ، مَسْأَلَةُ كُلِّ رَاعٍ عَمَّا اسْتُرْعِيَ ، حديث ٩١٢٩ .

وقد يكون الابتلاء بعدم الولد لينظر هل سيرضى الإنسان ويقنع ويرضى بقضاء الله وقدره أو سيجزع ويسخط ، وهكذا الشأن في الحال كله ما بين ابتلاء بالخير وابتلاء بالشر ، فالمؤمن الحقيقي هو من يشكر في السراء ويصبر في البأساء والضراء ، أي أنه ينجح في كل الاختبارات ، وفي هذا يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِن إنَّ أَمْرَهُ كُلَّه خَيْرٌ – وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إلاَّ لِلمُؤْمِن – إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)[1].

* * *

(1) صحيح مسلم ، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ ، بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ، حديث رقم : ٢٩٩٩ .

صبر الرضا وصبر العجز

الصبر ألوان وأنواع ، فمنه الصبر الإيجابي ، وهو صبر الرضا المصحوب بالأخذ بالأسباب للخروج من دائرة الضعف إلى دائرة القوة ، أو الخروج من دائرة السقم إلى دائرة الصحة ، أو من دائرة الفقر إلى دائرة الغنى ، فقد يبتلى الإنسان في صحته فيصبر ، غير أن صبر الرضا لا يحول بينه وبين الأخذ بأسباب التداوي والشفاء والعافية ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (نَعَم ، يَا عِبَادَ اللهِ تدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً ، إِلا دَاءً وَاحِدًا ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : الْهَرَمُ)(1).

وقد يبتلى الإنسان بضيق ذات اليد فيصبر صبر الراضين لا صبر الساخطين ولا صبر العاجزين ، إنما يعمل ويعمل ليغير

(١) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الطِّبِّ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الدَّوَاءِ وَالحَثِّ عَلَيْهِ ، حديث رقم : ٢٠٣٨ .

من حاله ، فقد كان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : "لا يقعدنّ أحدُكم عن طلب الرزق ، ويقول اللهم ارزقني وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة" (إحياء علوم الدين) ، فديننا دين العمل والإنتاج والإتقان والإبداع والابتكار ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: { إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا }[1] ، وجاء لفظ {عَمَلًا} نكرة للعموم والشمول ، فيجب على الإنسان أن يحسن عمله وأن يتقنه وأن يجوده سواء أكان من أعمال الدنيا أم من أعمال الآخرة ، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِن عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِي اللهِ دَاوُد كَانَ يَأكُل مِن عَمَلِ يَدِهِ)[2] ، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (لأنْ يَحتطبَ أَحَدُكُم حزمةً على ظَهْرِهِ خَيرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ

---

(١) الكهف :٣٠.

(٢) صحيح البخاري ، كِتَابُ البُيُوعِ ، بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ ، حديث رقم : ٢٠٧٢ .

أَحَدًا فَيعْطِيَهُ أوْ يَمْنعهُ) [1]، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ): (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلةِ وَالمِسْكِين، كَالمُجَاهِدِ فِي سَبيلِ اللهِ ، أوْ القَائم اللّيْل الصَّائِم النَّهَار) [2].

ومن أهم ألوان الصبر : الصبر عند البلاء ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [3]، ويقول (عَزَّ وجَلَّ) : {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [4] ، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ):

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع ، بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ ، حديث رقم : ٢٠٧٤ ، وصحيح مسلم ، كِتَاب الزَّكَاةِ ، بَابُ كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ ، حديث رقم : ١٠٤٢.

(٢) صحيح البخاري ، كِتَابُ النَّفَقَاتِ ، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الأَهْلِ ، حديث رقم : ٥٣٥٣ .

(٣) البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦.

(٤) الزمر : ١٠.

(إِنَّ عِظَمَ الْجزاءِ مَعَ عِظَمِ الْبلاءِ ، وإِنَّ اللَّه تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوماً ابتلاهُمْ ، فَمَنْ رضِيَ فلَهُ الرضَا ، ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ)(1).

على أن الصبر الحقيقي هو ما يكون عند الصدمة الأولى أو عند نزول المصيبة ، ذلك أن النبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) قد مرَّ على امرأة تبكي عند قبر فقال (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (اتقِي اللهَ واصْبِري) ، فقالت: إليْكَ عني، فإنَّك لم تصب بمصيبتي – ولم تعرفه – فقيل لها: إنه النبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) فأتت باب النبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم أعرفك ، فقال : (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى) (2).

---

(1) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى البَلاَءِ ، حديث رقم : ٢٣٩٦ .

(2) صحيح البخاري ، كِتَابُ الجَنَائِزِ ، بَابُ زِيَارَةِ القُبُورِ ، حديث رقم : ١٢٨٣، وصحيح مسلم ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ ، بَابٌ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ، حديث رقم : ٩٢٦.

وإذا كان الإنسان سَيصبر سيصبر ، فليؤثر صبر الرضا وهو الصبر الذي لا شكوى ولا ضجر ولا سخط معه ، لا صبر العجز واليأس والإحباط ، يقول الحق سبحانه في كتابه العزيز : {مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ}(١) .

وسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ : (الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى النَّاسُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِمْ ، فَمَنْ ثَخُنَ دِينُهُ ، اشْتَدَّ بَلاؤُهُ ، وَمَنْ ضَعُفَ دِينُهُ ضَعُفَ بَلاؤُهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبَهُ الْبَلاءُ حَتَّى يَمْشِيَ فِي النَّاسِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ)(٢) ، ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ)(٣) ، وقال (صَلَّى اللهُ

---

(١) الحج : ١٥.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٧٨ ، حديث رقم : ١٤٨١ .

(٣) صحيح البخاري ، كِتَابُ الزَّكَاةِ ، بَابُ الِاسْتِعْفَافِ عَنِ المَسْأَلَةِ ، حديث رقم: ١٤٦٩.

عليْهِ وسَلَّمَ) : (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ)[1].

على أن الصبر الإيجابي من أهم سبل التمكين حيث يقول الحق سبحانه : { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}[2]، على أننا في تغيير أحوالنا لسنا مطالبين بمجرد الصبر ، بل بالصبر الجميل ، وبالمصابرة التي هي أعلى درجات الصبر ، حيث يقول الحق سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[3] ، والمصابرة مفاعلة تقع بين طرفين وفيها مقاومة ، والمعنى : واجهوا صبر عدوكم بصبر يغلب صبره ، حيث يقول الحق سبحانه : { إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ

---

(١) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى البَلاَءِ ، حديث رقم : ٢٣٩٦ .

(٢) السجدة : ٢٤.

(٣) آل عمران : ٢٠٠.

عَلِيمًا حَكِيمًا}[1] ، ومن معاني المصابرة - أيضًا - : غالبوا صبر الشيطان على محاولات إغوائكم بصبر في طاعة الله يغلب صبره على إغوائكم .

* * *

(١) النساء : ١٠٤.

النظافة سلوك حضاري

لا شك أن النظافة أمر من أمور الفطرة جبلت عليه الطباع السليمة ، وهي سمة الأمم والمجتمعات المتحضرة ، وقد أثنى رب العزة في كتابه العزيز على المتطهرين فقال سبحانه وتعالى مخاطبا نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : {لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}(1) ، وقال سبحانه:{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}(2) ويقول سبحانه مخاطبا نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}(3) ، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (الطّهُورُ شَطْرُ الإيمَانِ والحمدُ للهِ

(1) التوبة : ١٠٨.

(2) البقرة : ٢٢٢.

(3) المدثر : ١ – ٤ .

تَملأ الميزانَ ، وَسُبْحَانَ اللهِ والحمدُ للهِ تَملآن – أو تَملأ – مَا بَين السّمَوات وَالأرض والصَّلاةُ نُورٌ والصَّدقَةُ بُرهانٌ ، والصبر ضياءٌ ، والقرآن حجةٌ لكَ أو عليكَ ، كلُّ النَاسِ يَغدو فَبَائِعٌ نَفسَه فمعتقها أو مُوبِقهَا)(1)، وقال (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (لَوْلا أنْ أَشُقّ عَلى أُمتي لأمرتُهُم بالسِّواكِ مَعَ كلِّ صَلاةٍ) (2)، وقال (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (لَولا أَن أَشق عَلَى أمتي لأمرتُهُم بالسِّواكِ عِندَ كُلِّ وضُوءٍ)(3)، وذلك حرصًا منه (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) على طيب رائحة الفم وعدم إيذاء الإنسان لأخيه الإنسان برائحة كريهة لا عن طريق الفم ولا غير الفم ، ولهذا كان (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) يحب الطيب .

ولم يُعن الإسلام بمجرد النظافة بل حث على الكمال

---

(1) صحيح مسلم، كِتَاب الطهارةِ ، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ ، حديث رقم : ٢٢٣ .

(2) صحيح البخاري ، كِتَابُ الجُمُعَةِ ، بَابُ السِّوَاكِ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، حديث رقم : ٨٨٧ ، وصحيح مسلم ، كِتَاب الطهارةِ ، بَابُ السِّوَاكِ ، حديث رقم : ٢٥٢ .

(3) صحيح البخاري ، كِتَابُ الصَّوْمِ ، بَابُ سِوَاكِ الرَّطْبِ وَاليَابِسِ لِلصَّائِمِ .

فيها ، فعدَّ نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) إسباغَ الوضوءِ مما يرفع الله به الدرجات ويحط به الخطايا، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (أَلا أَدلكم عَلى مَا يَمحو الله به الخَطايا، ويَرفع به الدَّرَجَات؟ قَالوا: بَلَى يَا رَسُول اللهِ. قَالَ: (إسباغُ الوُضوء عَلَى المَكَاره، وَكَثرة الخطَى إلى المَسَاجد، وَانتظار الصَّلَاة بَعد الصَّلَاة، فذَلكم الرِّبَاط، فَذَلكم الرِّبَاط)[1]، كما حثنا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) على الاغتسال في مواطن عديدة ، وبخاصة عند الجمع والجماعات ، كغسل الجمعة وغسل العيدين والغسل لدخول مكة ، وغسل من غسّل الميت ، تأكيدًا على نظافة الجسد وطهارته طهارة تامة .

وفي شأن نظافة الفراش يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (إذَا أَوَى أَحَدُكم إلى فرَاشه فَليأخُذ دَاخلَة إزَاره فَلينفُض بهَا فرَاشَه وَليُسمِّ اللهَ فَإنَّه لا يَعلَمُ مَا خَلَفَه بَعدهُ عَلى فرَاشه فَإذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطجعَ فَليضْطجعَ عَلَى شقهِ الأَيمَن

(١) صحيح مسلم ، كِتَاب الطهارةِ ، بَابُ فَضْلِ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، حديث رقم : ٢٥١ .

وليقلْ : سُبحَانك اللهم رَبي بكَ وَضَعت جَنبي وَبكَ أرفعه إنْ أمسكتَ نَفسي فَاغْفِر لَهَا وَإنْ أَرسَلتَها فَاحفَظهَا بمَا تَحفظ به عبَادَكَ الصَّالحِينَ) (1) ، وذلك حثًّا على تنظيف مكان النوم والتأكد من خُلوِّهِ ، مما يمكن أن يسبب الأذى للإنسان .

وقد وجهنا القرآن الكريم بأن نأخذ زينتنا عند كل صلاة، فقال سبحانه : {يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}(2) ، وَمَرّ النبيُّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) بِقبْرَين فقالَ : (إنَّهُمَا ليُعذَّبَان وَمَا يُعذّبَان فِي كبَير ؛ أمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَكَانَ لا يَسْتبرِئُ مِنْ بَوْلِهِ)(3)، والمراد أنه لا يحترز من بوله ولا يتطهر منه غاية الطهارة .

(1) صحيح مسلم ، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ ، حديث رقم : ٢٧١٤ .

(2) الأعراف : ٣١.

(3) صحيح البخاري ، كِتَابُ الوُضُوءِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي غَسْلِ البَوْلِ ، حديث رقم : ٢١٨.

وكما عني الإسلام بالنظافة الخاصة أو الشخصية عني كذلك بالنظافة العامة ، فقال (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (طَهِّرُوا أَفْنِيَتَكُمْ) [1] ، والأفنية تشمل فناء البيت والمدرسة والمصنع والمكان والمنتديات والمنتزهات العامة، كما تتسع لتشمل الطرق والميادين وغيرها ، وقد عدَّ نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) رفع الأذى عن الطريق من شعب الإيمان فقال (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (الإيمَانُ بضْعٌ وَسَبعُون أو بضعٌ وَستونَ شُعبَة، فَأفضَلهَا قَولُ: لا إلهَ إلا الله ، وَأَدنَاهَا إمَاطَةُ الأَذَى عَن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان) [2] ، وقال (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) [3] ، بلْ إنَّه (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) عدّ إيذاء الناس في طرقاتهم من مستجلبات اللعن.

---

(١) المعجم الأوسط ٤/ ٢٣١ ، حديث رقم : ٤٠٥٧ .
(٢) صحيح البخاري ، كِتَابُ الإيمان ، بَابُ أُمُورِ الإِيمَانِ ، حديث رقم : ٩ .
(٣) صحيح مسلم ، كِتَابِ الزكاة ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ ، حديث رقم : ١٠٠٩ .

كما عني ديننا الحنيف بتكريم من يقومون بخدمة المجتمع ولا سيما في مجال النظافة ، فقد كانتْ امْرأةٌ تَقُمّ الْمسجدَ فَفقدَهَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) فسألَ عَنهَا، فَقالوا: مَاتَت، فقالَ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (أَفَلا كُنتمْ آذَنتمُونِي) ، فَدَلُّوه عَلَى قَبْرهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا النبيُّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) (1).

وقد قامت حضارتنا المصرية القديمة على النظافة والجمال والرقي والتحضر ، وكان المصري القديم يقسم أنه لا يقتل ولا يزني ولا يسرق ولا يلوث ماء النهر ، تقديرًا منه لنعمة الماء ولأهمية النظافة ، وحفاظًا على ماء النهر نقيًّا من جميع مظاهر التلوث حتى لو كانت يسيرة.

وعلى الجملة فالدين والحضارة والرقي والإنسانية كلها تدعو إلى نظافة الجسد والمكان والثوب والمنتديات العامة ،

(1) صحيح البخاري ، كِتَابُ الصَّلاَةِ ، بَابُ كَنْسِ المَسْجِدِ وَالتِقَاطِ الخِرَقِ وَالقَذَى وَالعِيدَانِ ، حديث رقم : ٤٥٨.

لانعكاس ذلك على الصحة العامة من جهة ؛ وعلى سعادة الإنسانية وبث روح الجمال والبهاء فيها من جهة أخرى .

❊ ❊ ❊

بين التراث والمعاصرة

لا يمكن أن نظل عالة على غيرنا لا في الفكر ولا في الثقافة ولا في أي مجال من مجالات الحياة ، إنما علينا أن نفكر ونفكر ، ونعمل ونعمل ، ونتقن ونبدع ، حتى تكون لنا خصوصيتنا في كل المجالات العلمية والفكرية والتطبيقية .

ولا شك أن ثمة جهودًا كبيرة بذلت في اتجاه بناء نظرية عربية معاصرة في النقد الأدبي ، تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، لا تنسلخ من ماضيها ولا تتنكر له ، ولا تنعزل عن حاضرها وواقعها ولا ترفضه ، إنما تأخذ من هذا وذاك النافع والمفيد الذي يتسق مع قيمنا وحضارتنا ، ويشكل درعًا حصينة واقية لهويتنا الثقافية في زمن العولمة والتيارات الجارفة.

على أن العلاقة بين التراث والمعاصرة في الفكر النقدي ليست علاقة عداء أو قطيعة ، ولن تكون ، ولا ينبغي

أن تكون ، وأن الوسطية التي نحملها منهجًا ثابتًا في كل مناحي حياتنا ، ونجعل منها ميزانًا دقيقًا نزن بها أمورنا كلها ، إنما هي منهج ثابت ننطلق منه في كل جوانب حياتنا العلمية والفكرية والفلسفية والتطبيقية ، لا نحيد عن هذا المنهج قيد أنملة ، فقد قالوا : لكل شيء طرفان ووسط ، فإن أنت أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر واختل توازنه ، وإن أنت أمسكت بالوسط استقام لك الطرفان ، ونحن مستمسكون بهذا الوسط وتلك الوسطية ، لا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا تقصير .

وأؤكد أننا لا يمكن أن ننسلخ من تراثنا الفكري أو النقدي العريق أو نقف منه موقف القطيعة ، ونعمل في الهواء الطلق ، فمن لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل ، بل علينا أن نأخذ من الماضي العريق النافع والمفيد الذي ننطلق به في الحاضر ونؤسس به للمستقبل .

وإننا لو أعدنا قراءة تراثنا النقدي قراءة واعية منصفة لوقفنا على كثير من كنوزه ونفائسه ، واتضح لنا – بما لا يدع

مجالاً للشك – أن الحياة الأدبية العربية في عصرها الذهبي كانت تموج بتيارات وحركات نقدية لا تقل حيوية وأهمية عن حركة الحياة الأدبية والنقدية في القرنين العشرين والحادي والعشرين سواء في أوروبا أم في عالمنا العربي ، وأن القضايا التي تناولها النقاد العرب القدماء لم تمت بموتهم، فإن الكثير منها ما زال حاضرًا بقوة في ثقافتنا الأدبية والنقدية .

على أننا لا نتعصب للقديم لمجرد قدمه ، ولا نسلم زمام عقلنا للتقليد الأعمى دون أن نمعن النظر فيما ينقل إلينا أو يلقى علينا ، فقد ميز الله (عز وجل) الإنسان عن سائر الخلق بالعقل والفكر والتأمل والتدبر والتمييز ، ونعى على من أهملوا هذه النعم ولم يوفوها حقها ، فقال سبحانه : {أَفَلَا يَعْقِلُونَ}[1] ، وقال تعالى : {أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ}[2]، ويقول

(١) يس : ٦٨.

(٢) الأنعام ، من الآية : ٥٠ .

سبحانه : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى}[١] ، ويقول (عز وجل) : { وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ }[٢]، ولما نزل قوله تعالى : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ }[٣] قال نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ): (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها) [٤].

وكما أننا لا يمكن أن نرفض القديم لقدمه ، لا يمكن أيضًا أن نرفض الحديث لحداثته ، أو لكونه ثقافة الآخر أو المختلف ، أو كونه ثقافة وافدة على ثقافتنا ، أو أن ندعو إلى الانكفاء على الذات والتمحور أو التقوقع حولها ، فهذا عين الجمود والتحجر الذي نواجهه بكل قوة وحسم ، فثقافة

---

(١) طه ، من الآية : ٥٤ .

(٢) العنكبوت ، من الآية : ٤٣.

(٣) آل عمران : ١٩٠.

(٤) صحيح ابن حبان ،كتاب التوبة ، باب ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْمَرْءَ عَلَيْهِ إِذَا تَخَلَّى لُزُومُ الْبُكَاءِ عَلَى مَا ارْتَكَبَ مِنَ الْحَوْبَاتِ ، وَإِنْ كَانَ بَائِنًا عَنْهَا مُجِدًّا فِي إِتْيَانِ ضِدِّهَا ، حديث رقم : ٦٢٠ .

أخرى تعني عقلاً آخر ، وإضافة جديدة ، ومادة جديرة بالاعتبار والتأمل والنظر ، بل إنني لأدعو إلى إعمال الفكر وإمعان النظر في كل ما هو عصري أو حديث أو جديد ، فنأخذ منه النافع والمثمر والمفيد ، وما يشكل إضافة حقيقية لثقافتنا ، ويتناسب مع قيمنا وأخلاقنا وحضارتنا ، ونتجاوز ما لا يتسق مع هويتنا الثقافية وقيمنا الراسخة.

كما يجب أيضًا ألا نتخلف عن الركب ، فنتشبث بآراء ونظريات ثبت عدم جدواها عند الغربيين أنفسهم ، فدعا نقادهم إلى ضرورة مراجعتها ، أو تخلوا هم عنها وبحثوا عن نظريات أو رؤى أخرى جديدة رأوها أكثر دقةً وملاءمةً ونفعًا، أو وجدوا فيها خيط نجاة جديد يخلصهم من تعقيدات وفلسفات بعض النظريات التي خرجت بالنقد الأدبي عن لبابه إلى معالجات انحرفت بالنص الأدبي عن مساره الطبيعي إلى مسارات أخرى ربما كان من الأجدى تطبيقها على علوم وفنون أخرى غير النص الأدبي، إذ تبقى عظمة وخصوصية النص الأدبي والنقدي في كون كل منهما نصًّا ينطق أدبًا ويفيض أدبًا ويشع أدبًا قبل أي شيء آخر .

الميثاق الغليظ

ورد لفظ الميثاق الغليظ في القرآن الكريم ثلاث مرات ، الأولى في قوله تعالى : {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا }(1) ، وهو ميثاق تبليغ الرسالة ، فالله (عز وجل) أخذ من هؤلاء الأنبياء ميثاقًا عظيم الشأن بالغ الخطورة ، وغلظ ميثاق النبيين (عليهم السلام) هو سؤالهم عما فعلوا في الإرسال كما قال تعالى: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ}(2) ، وهذا لأن الملك إذا أرسل رسولا وأمره بشيء وقبله فهو ميثاق ، فإذا أعلمه بأنه يسأل عن حاله في أفعاله وأقواله يكون ذلك تغليظًا للميثاق عليه حتى لا يزيد ولا ينقص في الرسالة ، مما يدل على أنه عهد في أقصى درجات الدقة والأهمية .

---

(1) الأحزاب : ٧ .

(2) الأعراف : ٦ .

وجاء ذكر نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) في الآية الكريمة: {مِنكَ}، وذكر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) بعد ذكر النبيين من باب ذكر الخاص بعد العام ، كونهم أُولِي العزم من الرسل وتحملوا ما لم يتحمله غيرهم في سبيل تبليغ رسالات الله (عز وجل) .

والمرة الثانية في قوله تعالى عن بني إسرائيل : {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}[1] ، وغلَظ الميثاق هنا لأنه كان شديدًا قويًّا في معناه وموضوعه وما اشتمل عليه من أوامر ونواه وأحكام مع التأكيد على الالتزام بما حمله الميثاق ، ولأنهم كانوا منغمسين في الجحود والعناد والإنكار فكان المناسب في الآية تأكيد العهد والميثاق وتغليظه عليهم مراعاة لطبيعتهم الناكثة للعهود.

وقد أسند رب العزة (سبحانه وتعالى) أخذ الميثـاق إلى

(١) البقرة : ٦٣.

ذاته العلية في قوله تعالى : {أَخَذْنَا} تنبيهًا على أهميته ، فقد أخذ سبحانه وتعالى العهد والميثاق على اليهود أن يعملوا بما أمرهم (عز وجل) به وأن ينتهوا عما نهاهم عنه ، إلا أنهم نقضوا عهودهم ومواثيقهم وكفروا بآيات الله ونبذوها وراء ظهورهم ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}(١) ، ويقول سبحانه : { فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}(٢).

والمرة الثالثة في قوله تعالى : { وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}(٣)، ووصف

(١) البقرة : ٦٥.

(٢) الأعراف : ١٦٦.

(٣) النساء : ٢٠-٢١.

الميثاق بالغلظة في هذه الآية الكريمة لقوته وعظمته ومدى أهميته في بناء الأسرة ، والميثاق الغليظ هو العهد الذي أُخِذ للزوجة على زوجها عند عقد النكاح ، وما يتضمنه من حق الصحبة والمعاشرة بالمعروف .

وقد ربط الإمام الفخر الرازي في تفسيره بين أخذ الميثاق الغليظ من النبيين وأخذه من الأزواج بما يؤكد أن الجامع بينهما هو الأهمية وضرورة مراعاة هذا العهد وتعهده والوفاء بحقه .

والميثاق الغليظ يقتضي حسن المعاشرة بين الزوجين ، والصدق ، والتضحية ، والبذل ، والوفاء والحب ، والتفاهم ، وقالوا : صحبة عشرين يوما قرابة ، فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج ، وقد جعل نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) الإحسان للنساء مقياسًا للخيرية قَالَ : (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)[1].

(١) سنن الترمذي ، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَابٌ فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حديث رقم : ٣٨٩٥ .

وكل ذلك إنما هو تأكيد على أهمية تقوية عرى الروابط الأسرية ، وضرورة رعايتها والحفاظ عليها ، فالأسرة التي تُبنى على المودة والرحمة والتفاهم والحوار الهادئ تكون أكثر سعادة واستقرارًا ، وتثمر نباتًا حسنًا وأبناء صالحين وتكون لبنة هامة في بناء مجتمع قوي متماسك ، والأسرة التي تُبنى على الأنانية والقسوة وتجف فيها المشاعر الإنسانية سرعان ما تحمل عوامل هدمها ، وتكون لبنة قلقة بين لبنات البناء المجتمعي الذي يكون حظه من القوة أو الضعف وفق نسب قوة أو ضعف الأسر التي تشكل بناءه ومجمل لبناته .

* * *

خيريــة الأمــة

خيرية أمتنا تنبع من سماحتها ، فإذا فقدت الأمة سماحتها فقدت خيريتها ، فقد علمنا نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) أنَّ خيرَ النَّاس أَنفعُهُم لِلنَّاس[1] ، وقامت ثقافتنا على أنه ما استحق أن يولد من عاش لنفسه ، ثم إن القرآن الكريم ذكر أول ما ذكر في مقومات خيرية هذه الأمة أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وكلمة {بِالمَعْرُوف } في قوله {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ}[2] إنما تتعلق بكلمة {تَأْمُرُونَ} ، وهذا التعلق لا ينصرف إلى الغاية وحدها أي الفعل أو العمل المأمور به وحده ، كبرِّ الوالدين، أو الصدق ، أو الأمانة ، أو الوفاء بالعهد ، أو الصدقة ، أو إكرام الكبير والضعيف وذي الشيبة ، أو صلة الرحم ، أو

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٦/ ٥٨ ، حديث رقم : ٥٧٨٧ .

(٢) آل عمران : ١١٠.

تفريج الكروب أو إغاثة الملهوف ، أو إبراء المعسر أو إنظاره ، ونحو ذلك ، إنما يتعلق إلى جانب ذلك بوسيلة الأمر ، فكما أن الغاية معروف ، فإن الوسيلة لا بد أن تكون كذلك ، بأن تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والأمر بالمعروف غاية ووسيلة ، استجابة لقوله تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}[1]، فلا يتصور قبول الأمر بالمعروف من شخص لا يعرف معنى المعروف ولا معنى الإحسان ولا سنة خير الأنام محمد (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) في الدعوة إلى الله (عز وجل) بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهو الذي ضرب لنا أعظم المثل في ذلك ، والأمثلة في حياته لا تحصى ولا تعد ، بل إن كل حياته (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) وسنته قائمة على ذلك، على الرحمة ، على الرفق ، على لين الجانب ، ومن ذلك قصة الأعرابي الذي بال في المسجد ، فقام الناس إليه ، فقال النبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ

(١) النحل : ١٢٥.

وسَلَّمَ) : (دَعُوُه ، وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجلًا مِنْ مَاء ، أَوْ ذَنوبًا مِن مَاء ، فإِنَّما بُعثتُمْ مُيسّرِين وَلَمْ تُبعَثُوا مُعَسّرين)[1] .

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قالَ: بينما نحن جلوس عند النبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) إذ جاءه رجل ، فقال : يا رسول الله ، هلكت ! فقال : (ما أهلكك؟) . قال: وقعت على امرأتي ، وأنا صائم ، وفي رواية : "أصبت أهلي في رمضان"، فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (هَل تَجد رَقبة تَعتقها؟) قال : لا ، قال : (فَهل تَستطيع أَن تَصومَ شَهرينَ متتَابعَين؟) قال : لا ، قال : (فَهَل تَجد إطعامَ ستينَ مسكينًا؟) قال : لا ، قال : فَسَكَت النبيُّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ)، فبينما نحن على ذلك إذ أُتي النبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) بمكتل فيه تمر ، فقال (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (أين السائل؟) ، قال : أنا ، قال: (خذ هذا فتصدق بِه) ، فقال :

(١) صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، بَابُ صَبِّ المَاءِ عَلَى البَوْلِ فِي المَسْجِدِ ، حديث رقم : ٢٢٠ .

أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فو الله ما في المدينة أهل بيت أفقر من أهل بيتي ! فَضَحِكَ النبيُّ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) ، ثمَّ قَالَ : (أَطْعِمْهُ أُهْلَكَ)[1].

على أن خيرية الأمة يجب أن تترجم إلى واقع عملي وأخلاقي ، فخير الناس أنفعهم للناس ، وذلك لا يتحقق إلا بالتعاون والتكافل والتراحم ، وألا يكون بيننا جائع ولا محروم ، وأن نحمل الخير للناس كل الناس دون تمييز على أساس دينهم أو جنسهم أو لونهم أو لغتهم ، إذ ينبغي أن يكون ذلك للناس كافة ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (مَا مِن يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلَّا وَمَلَكَان يَنزلَانِ فَيَقُول أحدُهُما : اللهُمَّ أعط مُنفقًا خَلَفًا، وَيقُول الآخَرُ : اللهُمَّ أَعْطِ ممسكًا تلفًا)[2] ويقول (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (مَا آمَن بِي

(١) صحيح البخاري ، كِتَابُ الصوم ، بَابُ إِذَا جَامَعَ فِي رَمَضَانَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ ، فَتُصُدِّقَ عَلَيْهِ فَلْيُكَفِّرْ ، حديث رقم : ١٩٣٦.

(٢) صحيح مسلم ،كِتَاب الزَّكَاةِ ، بَابٌ فِي الْمُنْفِقِ وَالْمُمْسِكِ ، حديث رقم : ١٠١٠.

مَنْ بَاتَ شَبْعَانُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ)[1]، وَيَقولُ (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (وَاللهِ لَا يُؤْمِن ، وَاللهِ لا يُؤْمِن ، وَاللهِ لَا يُؤْمِن ، قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الذِي لَا يَأمَن جَارُهُ بَوَائقَهُ)[2].

نحتاج إلى ترجمة هذه الخيرية إلى واقع ملموس من خلال رحمة الطبيب بمرضاه ، والمعلم بطلابه ، والصانع بمساعديه ومعاونيه ، ورب المال والعمل بعماله وصناعه ، نريد أمة قوية غنية عاملة منتجة متقنة تحمل الخير للناس جميعًا ، فقوة الأمة تقاس بقدرتها على العمل والإتقان والإبداع والابتكار وتقديم الخير للبشرية جمعاء .

إن مشكلة الجماعات المتطرفة تكمن في فهمهم الخاطئ لقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبدلًا من دعوتهم إلى الخير بالمعروف فإنهم يشددون على الناس

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١/ ٢٥٩ ، حديث رقم : ٧٥١ .

(٢) صحيح مسلم ، كِتَابُ الْإِيمَانَ ، بَابُ بَيَانِ تَحْرِيمِ إِيذَاءِ الْجَارِ ، حديث رقم: ٤٦ .

ويشقون عليهم ويصيبونهم بالعنت ، فينفرونهم من الدين ، على أن ديننا الحنيف قد حذَّرنا من جميع أنواع التشدد والغلو ، فقد قال (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : (هَلَكَ المُتَنَطِّعُون) ، وَكَرَّرَهَا ثَلَاثًا)[1] ؛ لبيان خطورة التشدد والتكلف والتنطع في الدين .

* * *

(١) صحيح مسلم ، كتاب الْعِلْمِ ، بَابُ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ ، حديث رقم : ٢٦٧٠.

الاستقـــامـــة

الاستقامة اسم جامع لكل معاني الانضباط السلوكي والأخلاقي ، وهي نقيض الاعوجاج والانحراف والخروج عن طريق الجادة ، فإذا قيل : فلان مستقيم فهي كلمة جامعة لكل معاني الصلاح والانضباط دينيًّا وفكريًّا ومجتمعيًّا وسلوكيًّا ، وقد سأل سيدنا سفيان الثقفي (رضي الله عنه) النبي (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) فقال يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولاً لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ ، قَالَ : (قُلْ آمنتُ بِاللهِ، ثمَّ اسْتَقِم) [1] ، ويقول الحق سبحانه وتعالى مخاطبا نبينا محمدًا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[2] .

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب الْإِيمان ، بَابُ جَامِعِ أَوْصَافِ الْإِسْلَامِ ، حديث رقم : ٣٨.

(٢) هود : ١١٢.

ولأهمية الاستقامة في حياتنا كان ذكرها في فاتحة الكتاب التي يقرؤها المسلم في صلاته سبع عشرة مرة في الصلاة المفروضة فقط كل يوم وليلة ، داعيًا ربه (عز وجل) في كل صلاة فرض أو نفل : {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[1] ، والصراط المستقيم هو صراط الله (عز وجل) ، حيث يقول سبحانه مخاطبًا نبينا (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) : {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ}[2] .

وجزاء المستقيمين عند الله (عز وجل) جد عظيم ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا}[3] ، ويقول سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[4]،

---

(١) الفاتحة : ٦.

(٢) الشورى : ٥٢ ، ٥٣.

(٣) الجن : ١٦.

(٤) الأحقاف : ١٣.

ويقول سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ }(1).

إنه لجزاءٌ عظيم يرقى إلى درجة نزول الملائكة عليهم ، فقد ذكر كثير من المفسرين أن ذلك يكون في الدنيا قبل الآخرة ساعة الاحتضار ، تتنزل عليهم الملائكة لتبشرهم وتطمئنهم ألا تخافوا مما أنتم مقبلون عليه وألا تحزنوا على ما خلفتم خلف ظهوركم ، فأنتم وهم في رعاية الله وعنايته وحفظه { نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ }.

وحسبك بمن كان الله (عز وجل) وليّه ، ألم يقل سبحانه وتعالى :{أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ}(2).

(1) فصلت : ٣٠ ، ٣١.
(2) الزمر : ٣٦ ، ٣٧.

على أن مفهوم الاستقامة لا يتجزأ ، فلا يوصف بالمستقيم من استقام في شئون العبادات ، وقصر في حقوق الناس في باب المعاملات ، كما لا يمكن أن يوصف بالاستقامة من حافظ ظاهرًا على الصلاة والصيام ولم يؤد حق العمل الذي كلف به ، أو أخذ يتحايل على التفلت منه أو عدم الوفاء بحقه ، أو عدم مراقبة الله (عز وجل) فيه .

وهل يمكن أن يوصف بالمستقيم مدمن أو عاق أو غشاش أو محتكر أو كذاب أو منافق أو محتال أو آكل للسحت ، أو ظالم ، أو نمام أو مغتاب .

إن الاستقامة تعني أول ما تعني الوفاء بحق الله وحق الخلق وحق النفس ، والتحلي بمكارم الأخلاق التي هي لب لباب الدين ، والتي هي غاية بعثة ورسالة خاتم الأنبياء والمرسلين (صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ) الذي قال ملخصًا الهدف الأسمى لرسالته : (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ)(1).

---

(1) مسند البزار ١٥/ ٣٦٤ ، حديث رقم : ٨٩٤٩ .

فهرس الموضوعات